

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵎⴰⵎⴻⵔ ⵏ ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⴰⵎⵎⵉⵔⵉ
ⵏ ⵜⴰⵣⵣⴰⵢⵔⵉ ⵏ ⵜⴰⵎⴻⵔⵉ
ⵏ ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⴰⵎⵎⵉⵔⵉ

Université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et Littérature Arabes



جامعة مولود معمري؛ تيزي-وزو
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي:

تخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة مقدّمة لاستكمال نيل شهادة الماستر

الموضوع:

صورة المرأة في رواية تشرفت برحيلك لفيروز رشام دراسة سوسيوثقافية

إشراف الأستاذة:

حكيمه حبي.

إعداد الطالبتين:

أمال شعلالي.

فريدة جبار.

أعضاء لجنة المناقشة:

- 1- سامية داودي، أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي-وزو.....رئيسة
- 2- حكيمه حبي، أستاذة مساعد صنف (أ)، جامعة مولود معمري تيزي-وزو....مشرفة ومقررة
- 3- نعيمة العقريب، أستاذة محاضر صنف (أ)، جامعة مولود معمري تيزي-وزو.....ممتحنة

السنة الجامعية: 2018 / 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ

كلمة شكر وعرافان

لا يسعنا بعد الانتهاء من إعداد مشروع بحثنا هذا إلا أن نتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى:

الأستاذة "حكيمة حبي" فنقول لها شكرا يا أستاذتي على كل ما قدمته لنا وعلى مساعدتك لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع ولما منحتنا لنا من وقت وتوجيه وإرشاد وتشجيع، ولم تبخل علينا بكل ما لديك من معلومات ومراجع وعلى كل ما قدمته من نصائح وتوجيهات.

وإلى كل أساتذتنا الكرام وكل من ساهم في تعليمنا، كما نشكر كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة وعلى رأسهم الدكتور "إسماعيل سعدي" من جامعة المسيلة.

الطالبتان أمال شعلاي وفريدة جبار

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضعا لى:

أمي وأبي أطل الله في عمرهما، اللذين كافحا من أجلي حتى أوصلاني إلى هذه المرحلة.

إلى أخي الوحيد وإلى أخواتي كل باسمها، وإلى عائلة أيت لحسين وبلقاضي

إلى زميلتي التي شاركتني هذا العمل فريدة

إلى صديقاتي في الدراسة الجامعية وفي الإقامة الجامعية كل باسمها.

أمال شعلاي

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

إليك يا نبع الأمل الصافي أُمي الغالية.

إليك يا من وقف على سعادتِي أبي الغالي.

وإلى خطيبي طارق وعائلته الكريمة.

إلى شموع أضاءت دربي ومدوا لي يد العون وكانوا السند على مر الوقت إخوتي وأخواتي،
إلى كل كتاكيت العائلة.

إلى زميلتي التي شاركتني هذا العمل آمال، وإلى زميلاتي في الدراسة والإقامة الجامعية كل
باسمها.

فريدة جبار.

مَقَاتِلَةٌ

تعدّ الرواية النسوية الجزائرية صورة تعبّر عن مشكلات وهموم المجتمع الذي لم يستطع جنس الشّعْر والقصّة من استيعاب قضاياها، فربط بين الماضي والحاضر وسعى للتّطلع نحو المستقبل من أجل الكشف عن الدّاء لإيجاد الدّواء، وقد كانت الرّواية البيئّة الخصبة التي استطاعت المرأة التّعبير من خلالها عن همومها واضطهادها منذ القديم، فالرّواية لها من الإمكانات الداخلية، ما يجعلها قادرة على استيعاب ما تملكه المرأة الكاتبة من أفكار وكلام لا تجد طريقة مثلى للتّعبير عنها، فجعلت من قلمها سلاحا ناشدة به الحرّيّة ومعلنة من خلالها عن وجودها، وعن وجود حرب ضارية من أجل تغيير وضعها الغامض، وهذا ما دفع بالعديد من الرّوائيات الجزائريات للكتابة عن العشرية السوداء التي خلقت ضغوطات ومخالفات اجتماعية ونفسية جد معقّدة، فجاءت رواية "تشرفت برحيلك" لفيروز رشام" كفسيفساء تقدّم عدّة قضايا عاشتها المرأة في مجتمع مريض، ومتطرّف لتقدم رسالة، ولتعبّر عن قضية لعلّها تكون السّبب في التّأثير في المجتمع عامة.

لقد كان الدافع لاختيار هذا الموضوع هو رغبتنا الملحة لتسليط الضّوء على فترة حرجة في تاريخ الجزائر، الذي عانى من حرب أهلية غير معلنة، إضافة إلى إعجابنا بالرواية لأنّها تبين لنا صورة المرأة بمختلف نماذجها، ولأنّها عبّرت بصدق عن عالم الأنثى ومكانتها في المجتمع والكشف عمّا عانتها من عنف نفسي وجسدي، وكوننا لا زلنا نعيش في مجتمع ذكوريّ يعطي الأولوية له، كجنس يفرض وجوده في عديد من المجالات، فالمجتمع يصفّق فرحا لنجاحاته المتتالية على غرار الجنس الأنثوي الذي حتّى وإن سُمح له بدخول مجال إبداعى معين، توضع له قيود تعيقه بحكم العادات والتقاليد.

وقد ارتأينا إختيار هذا الموضوع لما له من أهميّة موضوعية وذاتية فيما يتعلّق بالرّواية النسوية الجزائرية، خاصّة وأنّ هذه الرّواية جديدة العهد ومضمونها يمسّ نوعا من الحالة

الإجتماعية التي آل إليها الشعب الجزائري الآن، كما انه يتعلّق بجنس أدبي منتشر بكثرة، إلا وهو فن الرواية، فلا فاصل بين الفنّ والمجتمع.

يهدف الموضوع إلى التعريف بمرحلة مهمة في تاريخ الجزائر، مرّ عليها الزمن، لكنّها بقيت راسخة في الأذهان، ألا وهي فترة العشرية السوداء، إلى جانب أنه يتناول قضية حسّاسة نظرا للدور الهام الذي تؤدّيه كتابات الروائيات الجزائريات في التعبير عن هموم وقضايا وطنهن وجنسهن.

سوف نعتد في بحثنا هذا على إشكالية وهي:

- كيف مثلت الرواية صورة المرأة في فترة العشرية السوداء؟.

وتحوي مجموعة من الأسئلة نذكر منها:

- ما الذي دفع الكاتبة فيروز رشام لكتابة هذه الرواية؟.

- كيف تجلّت صورة المرأة في رواية تشرفّت برحيلك؟.

- هل تمكّنت من تحرير ذاتها من تلك القيود؟.

- هل الرواية استطاعت التعبير عن موضوع المرأة؟.

- ما هي أهم القضايا التي طرحتها؟.

- ما مدى حضورها في مجتمعنا؟.

- ما هي أهم قضايا المرأة التي طرحتها الروائية في الرواية؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات، نطرح مجموعة من الفرضيات وهي: لعلّ السبب الذي

دفع الكاتبة لكتابة رواية بطلتها امرأة هي أنّها عاشت نفس الأوضاع، كما أبرزت الكاتبة في

روايتها عدّة صور للمرأة منها المثقفة، التي إستطاعت بها الكاتبة تصوير وضع المرأة الجزائرية، وتصوير نفسها وكيفية التّغلب على كل المعوقات التي صادفتها، حقيقةً الرواية استطاعت التّعبير عن المرأة بطريقة رائعة، وجعلت منها موضوعاً للدراسة لأنّ المرأة تعتبر لبنة المجتمع وتهميشها يعتبر تهميشاً للمجتمع أيضاً، فعالجت عدّة قضايا كالحبّ والزّواج والإنجاب والعنف...إلى غير ذلك، فهذه القضايا حاضرة بكثرة في المجتمع الجزائري، فعلا الرواية وجدت صدى كبير لدى القراء، والكل يبحث عن الرواية لما تثيره من قضايا حساسة في المجتمع الجزائري.

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج السوسيو ثقافي، الذي يُولي اهتماماً خاصاً للمرأة ولأنّ الآليات التي يعتمدها تعتبر أدوات إجرائية ناجعة لتحليل أوضاع المرأة بصفة عامة.

سنعتمد في بحثنا هذا، على خطة محكمة ومقسّمة إلى مقدمة والتي تمثّل أرضية البحث، وبها يكون الولوج إليه، ومدخل وفصلين وخاتمة.

ففي المدخل تناولنا فيه الجانب النظري، المعنون بالمرأة في الرواية الجزائرية، أين تطرّقنا فيه إلى الرواية النسوية الجزائرية، ثمّ مفهوم الصّورة والمرأة، وكذا دوافع المرأة للكتابة، وما هي أسباب تأخر الرواية النسوية الجزائرية، إضافة إلى أهمية موضوع المرأة في الرواية.

أمّا الفصل الأول تناولنا فيه الجانب التّطبيقي، المعنون بقضايا المرأة في رواية "تشرفت برحيلك" لفيروز رشام"، وفيه دراسة العنوان، وكذا المرأة والعنف، والمرأة والحب، إلى جانب المرأة والحجاب، المرأة والزواج، إضافة إلى المرأة والجنس، والمرأة والإنجاب، المرأة وسرطان الثدي، وكذا المرأة والخيانة الزوجية، والمرأة والطلاق، إلى جانب التّطرف الديني.

أمّا الفصل الثاني فهو جانب تطبيقي معنون بنماذج لصور المرأة في رواية "تشرفت برحيلك" لفيروز رشام، ويتضمّن صورة المرأة الأم، وصورة المرأة المقهورة، وأيضا صورة المرأة

الجريئة، وصورة المرأة المقاومة، وكذا صورة المرأة المثقفة، إضافة إلى المخلفات الإجتماعية والنفسية نتيجة الإرهاب.

قمنا في خاتمة البحث باستخلاص مجموعة من النتائج المتوصّل إليها، في كلا الجانبين النظري والتطبيقي.

اعتمدنا على بعض المصادر والمراجع، التي رأينا أنّها أساسية وضرورية، وتصبّ مباشرة في موضوع هذا البحث، إضافة إلى رواية "تشرّفت برحيلك" لفيروز رشام، نذكر "النسوية في الثقافة والإبداع" لحسين مناصرة، إضافة إلى "المرأة في الرواية الجزائرية" لصالح مفقودة، وكذا "المرأة واللغة" لعبد الله الغدامي، و"100 عام من الرواية النسائية العربية لبثينة شعبان.

واجهتنا مجموعة من الصعوبات في بحثنا هذا نذكر منها: تعقيد الجانب التطبيقي، وصعوبة التّحكم في الموضوع أثناء تحليل النّصوص، إذ كثيرا ما أجدني أنحرف بالنّص عمّا يجب دراسته، وأيضا سعة الموضوع وشموليته لعدّة قضايا، وما يرفق عملية البحث من ضغط نفسي، إلى جانب عدم وجود دراسات كافية حول هذه الرواية باعتبارها ما تزال حديثة.

وفي الأخير نشكر الله العليّ العظيم على ما منّ علينا بفضله على وضع لبنة هذا المشروع، ثم نتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذة حكيمة حبّبي على كل ما قدمته لنا، وعلى عناء الإشراف على هذا البحث، فقد كانت توجيهاتها دعما وتحفيزا لنا للمضيّ قدما، كما نتوجه بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الذين سوف نتشرف بتقييمهم لهذا العمل المتواضع.

مخلى

1. الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية:

تعدّ الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية فناً أدبياً حديثاً، فهذا المصطلح يثير الكثير من الجدل في أذهان الباحثين والدارسين، حول كون الأدب الذي تكتبه المرأة ذا أهمية، فهو جنس أدبي له خصائصه ومميزاته، التي تختلف عن الأجناس الأخرى في اتساعه، وكونه يسرد أحداث الواقع المعاش، فاتخذت سبيلاً لإثبات الكيان المختلف، والهوية المتميزة، وتبرير الوجود الزاهن الذي سعى المجتمع الذكوري لتغييبه، فاتخذت المرأة من الكتابة سلاحاً لتحررها من كل أشكال الإقصاء والقهر والإستلاب.

ظهر هذا المصطلح حديثاً «منذ ستينيات القرن العشرين تحديداً، بدأ الحديث بشكل واضح في الغرب أولاً ثم في الشرق، بعد ذلك عن نظرية خاصة مختلفة ومغايرة في فضاء الكتابة، هي الكتابة النسوية التي تتمرد على كتابة الذكورة، أو كتابة المجتمع الذي تنتج في سياق وعي الذكورة، ونفسية الأبوة، وسلطة الرجل ومن ثمّ كان على المرأة أن تلجأ لثوب القيم والعادات والتقاليد، التي تربت عليها في تاريخها الطويل، مما جعل كتاباتها لا تعبّر عن ذاتها، وإنما عن التمثلات الاجتماعية والثقافية المفروضة عليها»¹ رفضت وطغت الكتابة النسوية على الكتابة الذكورية الناجمة عن وعيه بصفته ذكر، فما كان على المرأة إلا أن تكسر تلك القيود والقيم الاجتماعية التي نشأت عليها منذ فترتها.

اتخذت المرأة الرواية سبيلاً لإثبات كيانها، وهويتها المتميزة ووجودها الذي سعى المجتمع الذكوري لتغييبه «لا مانع إذاً أن يكون للمرأة أدبها الخاص، المختلف نسبياً مادام أنّها كائن له خصائصه المتميزة، وتكوينه البيولوجي والنفساني الخاص، وعالمه الفسيح

¹ - حسين مناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، د ط، عالم الكتب الحديث، الأردن 2008، ص 1.

الذي يخرج عن عالم الرجل، بقدر ما يشتركان في عالم الإنسانية الرّحيب»¹ فالمرأة لها أدبها، وخصائصها وعالمها الخاص بها تماما مثل الرجل، حتى وإن جمعتهما عالم واحد، هذا لا يعني أنّهما مشتركان في الأفكار وكل ما لديها، وبعيدا عن القيود التي فرضها عليها المجتمع تحاول تخصيص شيء يميّزها، بكونه أدب أوسع لا يتقيد بأية قيود، سواء كانت دينية أو عرقية أو جغرافية.

تعالج المرأة عدّة قضايا بتنوّعات متباينة لفرض ذاتها «الأدب النسوي المفترض هو أدب تكتبه المرأة أولاً، تتأثر عادة رؤاه وأساليبه بفارق الجنوسة* بينها وبين الرجل وتحكمه رؤية المرأة للعالم»² فالمرأة تكتب أدبها متأثرة بالفارق بينها وبين الرجل، نظرا لطريقة رؤيتها للعالم، وتفكيرها الخاص «فالأنوثة هي روح النصّ النسوي ورحيقه المختوم، وهي هويته الحقيقية»³ فبأنوثتها تكتب وتبدع نصّا فنيا، ويكون نسخة عن حياة الكاتبة.

تدافع المرأة عن كينونة المرأة «النسوية هي مجموعة من التصورات الفكرية والفلسفية، التي تسعى لفهم جذور وأسباب التفرقة بين الرجال والنساء، وذلك بهدف تحسين أوضاع النساء وزيادة فرصهن في كافة المجالات»⁴ سعت الرواية النسوية، لفهم أسباب التمييز بين الرجال والنساء، لمحو الفارق بكونها كائن مختلف نسبيا عن الرجل، ولتغيير أوضاعها وإبراز وجودها، وكيانها في كل القطاعات.

¹ - يوسف وعليسي: خطاب التأنيث، دراسة في الشعر النسوية الجزائري، ط 1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 33-34.

² - المرجع نفسه؛ ص 35.

³ - المرجع نفسه؛ ص 39.

⁴ - هند محمود شيماء طنطاوي: نظرة للدراسات النسوية، ط 1، دن 2016، ص 13.

*الجنوسة: هي الأفكار والتصورات الإجتماعية والصفات المتعلقة بمعنى الرجولة و الأنوثة، وهي ليست نتاجا مباشرا بالضرورة للجنس البيولوجي لدى الإنسان.

كانت الرواية عاملاً مساعداً، لتغيير أوضاع المرأة بعدما كانت في الحضيض «فالنسوية تنظر فيما إذا كانت عملية التغيير، تتناول بصورة واعية المساواة على أساس النوع الاجتماعي وحقوق المرأة والنهوض بها أم لا»¹ فكان أهم ما نادى به المساواة، وعدم التفرقة بين الجنسين في المجتمع، والمطالبة بحقوقها الكاملة المسلوبة منها.

أجبرت المرأة على أن تتعزل عن ذاتها سلبياً فلم تمارس إبداعها الخاص بطريقة مستقلة «تواجه الحياة لا تلبث أن تصطدم بكثير من المتاعب، والآلام والأحداث والأزمات، وإذا بها تجد قلمها لتصور حياتها وألامها، وتفتح نافذة خاصة مرهفة بالإحساس، ممتلئة بالتعقيدات والألغاز، تقدم رؤية جديدة للمجتمع ككل، رؤية لم تعد تكتفي بالمراقبة السطحية للهامش»² فكانت المرأة طوال حياتها، ومنذ ولادتها تصادف عدة عوائق، والتي بمجرد أن تتهض وترفع رأسها تجد متاعب أخرى تنتظرها، فما كان عليها إلا أن تلجأ إلى الكتابة لتشخيص ألامها، ومواجهتها بتعقيداتها فلم تبق في الجانب المظلم، بل سعت نحو المركز.

تعتبر «النسوية في أصولها حركة سياسية تهدف إلى غايات إجتماعية تتمثل في حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها»³ النسوية حركة سياسية تستعملها النساء، لإثبات ذواتهن والدفاع عن حقوقهن، التي سلبت منهن منذ زمن بعيد ف «الكتابة النسوية إبداعاً ونقداً، نابعة من شخصية المرأة المثقفة نفسها، نائرة في ذلك على ذاتيتها الحرامية المؤدبة»⁴ فتستخدم المرأة الكتابة، لتبدع أشكالاً أدبية صادرة من شخصيتها المثقفة، المتمردة على ذاتها المؤدبة، وتحطيم كل القيود التي كبلها بها المجتمع.

¹ - هند محمود شيماء طنطاوي: نظرة للدراسات النسوية، ص 15.

² - حسين مناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ص 66.

³ - يمى طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، د ط، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، 2018، ص 11.

⁴ - حسين مناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ص 67.

عملت المرأة على إبراز نفسها، بعدما كان الرجل هو من أبرز نفسه لعقد طويل من الزمن «النص النسوي ذلك النص الذي يعبر عن التجربة الخاصة، التي تعكس واقع حياة المرأة، ويتيح المجال الأوسع لتعبير ذاتي ومباشر، غير مقيد بالمفاهيم التقليدية، ولا يلقي بالا لمعايير الرجل»¹ إذن فالنسوية تجسد حياة المرأة، وتصور واقعها المعاش، وتعبّر عن ذاتها وحياتها، غير مكترثة بما يكبلها من عادات وتقاليد، ولا للقواعد التي فرضها الرجل.

حاولت المرأة إعادة الاعتبار لنفسها ولغيرها «ولقد نشطت الحركات النسائية إذا، وأخذت في إنتاج المؤلفات، التي تعيد من خلالها النظرة الإيجابية للمرأة، وعلاقاتها بالإبداعات الأدبية، لقد أخذت تصحّ وجهة النظر في الأعمال الأدبية، والتي كانت إلى غاية وقت غير بعيد يجسد فكرة الجنوسة والأبوة»² فكانت كل الأعمال الأدبية قديما تتمحور حول الجنس الذكوري المتسلط، والأبوة المسيطرة، فاتخذت الكتابة النسوية على عاتقها تصحيح وتوجيه الآراء، التي بقيت فترة طويلة من الزمن حول المعتقدات التقليدية، فما كان عليها إلا أن أنتجت مؤلفات، لتصحيح النظرة التي كانت متداولة، حول علاقة المرأة بالإبداعات الأدبية وأنها من حق الرجل وحده.

يأتي الأدب النسوي في منزلة متدنية بالنسبة للأدب الذكوري، بسبب تغييبها وانتهاك أبسط حقوقها «الكشف عن تغلغل التصور الأبوي ببنيتها السلطوية، والقمعية في المنظور النقدي، الذي غيب المرأة وانتهاك أبسط حقوقها»³ كان المجتمع الذكوري بسلطته المتجبرة، عمل على تهميش المرأة، وتجاوز حدوده إلى سلب حقوقها، التي منحها لها الله عزوجل، فهي «أسس جديدة يتم فيها تحرير المرأة، باعتبارها الأخر المماثل، لا المناقض من سطوة

¹ - الخطاب النسائي في الأدب والنقد، 28-05-2019، 02:32، من موقع www.uop-edu.jo.

² - فيصل الأخضر نبيل دادوة: الموسوعة الأدبية، ج1، د ط، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص290.

³ - الخطاب النسائي في الأدب والنقد من موقع www.uop-edu.jo

البنية الأبوية للتفكير»¹ تعتبر المرأة كيانا وفكرا متحررا، باعتباره الجزء الآخر للرجل الذي خُلِقا زوجين، وليس عدوين، وتفكيك السلطة الأبوية ومقاومتها بالقلم.

استطاعت المرأة بفضل الأدب إظهار، ما كانت تعيشه وما عانتها «ضرورة الكشف عن مجموعة الإجراءات التعسفية، التي مورست ضد المرأة، بل يسعنا القول إنها لم تبقى محصورة في إطار المرأة فقط، وإنما تعد ذلك لتشمل الجماعات المهمشة، التي تم استثناءها لفترات طويلة عبر التاريخ»² بالرغم مما عانتها المرأة من عنف بشتى أنواعه إلا أنها لم تستسلم لها «لقد ساهمت في بروز العديد من الأسباب والعوامل، التي وجدت فيها المرأة نشاطا تعسفا ضد حقيقتها، وضد وجودها النبيلين، ومن أبرز هذه العوامل والأسباب انتشار الثقافة الأبوية، والتي ظلت مهيمنة في المجتمع»³ وجدت المرأة نوعا من الظلم ضد كينونتها، ومن أبرز هذه العوامل انتشارا، الثقافة الذكورية وهيمنة المجتمع الأبوي عليها.

اتخذت المرأة من الرواية ذاتا للإحتجاج على أوضاعها «إن توظيف المرأة للكتابة وممارستها للخطاب المكتوب بعد عمر مديد من الحكي والإقتصار على متعة الحكي وحدها، يعني أننا أمام نقلة نوعية من مسألة الإفصاح عن الأنثى، إذا لم يعد الرجل هو المتكلم عنها والمفصح عن حقيقتها وصفاتها، بما فعل على مدى قرون متوالية، لكن المرأة صارت تتكلم وتفصح وتشهر عن إفصاحها بواسطة القلم الذي ظل مذكرا وأداة ذكورية»⁴ لقد إقتحمت المرأة عالم الكتابة بفضل القلم، الذي لطالما كان في يد الرجل لمدة طويلة، في حين كانت المرأة تستعمل على المشافهة فقط، وبالتالي قامت بخطوة هامة في

¹ - الخطاب النسائي في الأدب والنقد من موقع www.uop-edu.jo

² - المرجع نفسه؛

³ - فيصل الأحمر نبيل دادوة: الموسوعة الأدبية، ص 288.

⁴ - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت 2006، ص8.

الانتقال من المشافهة للكتابة، فأخذت تبيّن وتظهر نفسها مستغنية بذلك عن الرجل، الذي كان يكتب عنها ما يشاء عبر قرون طوال.

اقتترنت الرواية النسوية بمحاولة المرأة إبراز ذاتها وهويتها، فكانت في القديم خاضعة للسلطة الذكورية، أما الآن فهي استطاعت باستعمال القلم، تغيير نفسها وذاتها وما يحيط بها «مهمته تحليل أدب المرأة وتطوير نماذج وأشكال حديثة قائمة على دراسة لتجربة المرأة وخبرتها بعيدا عن النظريات التي وضعها الرجل»¹ وتهدف الرواية النسوية إلى إبراز كل الأمثلة، والأنماط الحديثة بعيدا عما وضعه الرجل.

تدخل المرأة إلى عالم الإبداع والابتكار والكتابة بصفتها كاتبة ومبدعة، وليس أدبا خال من أي قيمة أو هدف «دخلت فعلا إلى عالم الكتابة، وامتلكت زمام القلم والورق»² فما كان على المرأة إلا أن خطت خطوة للأمام لتقتحم عالم الكتابة، وأخذت قلمها وسجلها لتدون عليه أوجاعها وآلامها، وأن تفصح عن المكبوتات التي عاشت عليها «لقد كتبت المرأة أخيرا، ودخلت إلى لغة الأخر، واقتحامها ورأت أسرارها، وفكت شفراتها، فتكلمت المرأة عن مأساتها الحضارية وأعلنت إدانتها للثقافة والحضارة»³ المرأة بفضل الكتابة استطاعت أن تتقل تجربتها الشخصية أو المجتمعية، وفككت شفراتها وأعلنت عن أسرارها، وظلت تبوح عن مأساتها وآلامها ومعاناتها، وصرحت بأنها مدانة ومتهمة ثقافيا وحضاريا.

فعلا حققت المرأة نجاحا في هذا المجال «نجحت المرأة فيها حيث عرفت كيف تستخدم اللغة وتجعلها مجازا محبوبا ومشفرا، وهذه الحبكة والتشفير أثمرت ثمارها، بنقل المرأة من المهزوم الموؤد إلى الند»⁴ فعملت المرأة على أن تصبح لغتها لغة راقية، ومجازية، ورمزية،

¹ - الخطاب النسائي في الأدب والنقد. من موقع www.uop-edu.jo

² - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة ص 115.

³ - المرجع نفسه؛ ص 9.

⁴ - المرجع نفسه؛ ص 95.

كما عرفت طريقة استعمالها، وبهذا انتقلت من الحضيض إلى الإرتقاء والنور بفضل الكتابة «لتجعل من نفسها ذاتاً قابلة للإكتتاب والتدوين، وكان الخيال والحلم بدنياً نسائية خالصة، النسوية هو سبيلها إلى غوص الذات الأنثوية في النص الكتابي»¹ عملت المرأة على الكتابة على نفسها، فتتخيل وتحلم بعالم آخر نسوي محض.

جعلت عالمها عالم خاص بها وحدها، داخل النص المكتوب والرواية «تخلق عالمها الخاص، ولغتها الأنثوية الخاصة»² فبفضل الرواية استطاعت المرأة أن تنشئ دُنيا لها وحدها ولغتها الخاصة بها، بعيدا عن الرجل «إنها كتابة، إنها لغة، إنها إبداع»³ فكل لغة إبداع فالمرأة تبدع لتهمز المجتمع الذكوري، أو بالأحرى لكي تغير وضعها نحو الأفضل.

سعت بكل السبل من أجل تغيير وضعها «فقد كان على المرأة أن تخوض حربين، حربا ضد الإستعمار إلى جانب الرجل، وحربا ضد عوامل الكبت والقمع التي يفرضها المجتمع على المرأة، وفي طبيعتها السفور والحجاب، ثم حرية إختيار المرأة لشريكها، ولنمط حياتها بأن تتعلم وتشتغل، وفي سبيل ذلك بدأت المرأة بتأسيس جمعيات وأحزاب ومنتديات ومؤتمرات لرعاية شؤونها ونشر وعي أنثوي بقضايا»⁴ منذ زمن بعيد كانت المرأة مسلوقة الحقوق، ما جعلها تخوض عدة حروب، من أجل كسر القيود التي فرضها المجتمع على المرأة، فحاربت من أجل حياتها الزوجية، ومن ثم حاربت من أجل استقلالها وخروجها للعمل، وتكون خير سند لنفسها، وعملت في الجمعيات من أجل حماية حقوقها ولرعاية نفسها، ونشر الوعي في وسط النساء اللواتي بقين خاضعات للرجل.

¹ - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة ص 115.

² - المرجع نفسه؛ ص 113.

³ - المرجع نفسه؛ ص 114.

⁴ - بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، ط1، دار الآداب، بيروت 1999، ص 5.

أراد الرجل تهميش المرأة فلم يستطع ذلك «سرق منها حقها الفطري الطبيعي، وعاشت معلقة على هامش الثقافة»¹ فالمجتمع الذكوري غيب المرأة طوال سنين عدة، فأخذ منها حقها الفطري الطبيعي، وهي حريتها، وكانت مهمشة ثقافيا وأدبيا وحضاريا «تحاول إبراز وتفعل جوانب ومجالات، وقيم مختلفة خاصة بالأنثى، جرى تهميشها وإنكارها، والحط من شأنها بحكم السيرة الذكورية، في حين أنها يجب أن يفسح لها المجال، وتقوم بدور أكبر لإحداث توازن منشود في مسار الحضارة والفكر»² جعل المجتمع المرأة في دائرة التهميش، لفك إبداعها وقدراتها ومكانتها، إلا أنها ظلت تقاوم لكسر تلك القيود، وحاولت إبراز كفاءتها في مختلف المجالات، ورسخ قيم خاصة بها تهدف بذلك إلى إفراح المجال لتقوم بدور أكبر لإحداث التوازن في مسار الحضارة والفكر.

يعد أدب المرأة أدبا إنسانيا نظرا لما يقدمه من خدمة للمجتمع «فتجعله أكثر إبداعية، وإنتاجا أكثر دفئا وموائمة إنسانية، مستجيبا لمتطلبات واقعة الثقافي، ودوره الحضاري، وتجعل فلسفة العلم ذاتها تطبيقية مرتبطة بالواقع الحي النابض»³ فجعلت من أدبها أدبا إبداعيا، وأكثر خدمة للمجتمع، وإنسانيا بالدرجة الأولى، يخدم المجتمع والواقع الثقافي والحضاري الراهن، ليعالج قضايا المجتمع، ويجد لها الحلول، خاصة المتعلقة بالمرأة وما آلت إليه بعد صمت طويل «النسوية إذن ممارسات تطبيقية واقعية ذات أهداف عينية»⁴ تستخدم النسوية لغايات وأهداف واقعية، وهي كسر القيود من شتى أنواع القمع والتسلط «الخلاصة أنّ النسوية فكر وواقع متجاوران حتى يصح القول، إن الفلسفة النسوية أتت أخيرا كترتيب جدلي من هذين الجانبين، للحركة اللذين تطورا معا»⁵ تعتبر النسوية فكر

¹ - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، ص 18.

² - يمني طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، ص 7.

³ - المرجع نفسه؛ ص 8.

⁴ - يمني طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، ص 11.

⁵ - المرجع نفسه؛ الصفحة نفسها.

وواقع في آن واحد، كونها تبذع أدب وفكر لمعالجة الواقع وأحداثه، ومنه فالنسوية تقوم على المساوات بين الفكر والواقع.

تعتمد النسوية على الموافقة بين الرجال والنساء في المجتمع «النسوية مفهوم سياسي، مبني على مقدمتين منطقيتين أساسيتين، إن بين النوعين مؤسّسة تقوم على عدم المساوات بين النساء والرجال، وتعاني النساء بسببها من انعدام العدالة في النظام الإجماعي، وإنّ إنعدام المساواة بين الجنسين، ليس نتيجة لظروف بيولوجية، لكنّه ناتج عن الفروق التي تنشئها الثقافة بين الجنسين»¹ النسوية تقوم على مبدئين هما العدالة بين الجنسين في المجتمع، إضافة إلى الواقع الثقافي، وبالتالي فالنظام الإجماعي والثقافي هو الذي وضع الفروق بين الجنسين.

حقا النسوية فن أدبي راقى «إن الأدب بوصفه خبرة ثقافية، ليست أداة تعكس واقع الحياة الفعلية للنساء، في نصوص أدبية فهو مؤثر في إنتاج المعاني والقيم، التي تكبل النساء بقيد عدم المساواة، ما مكنه إدراك الواقع الذي تقدمه لنا الكتب العظيمة المكتوبة بلغتنا»² الأدب الذي كتبه المرأة، ليس مجرد وسيلة لتصوير الحياة المعاش، بل لإظهار القيود التي تكبل النساء جزاء التفرقة بين الجنسين «لا يمكن أن يفشل النص الموثق في أن يزيد عن كونه هداما، إنه بركاني فبينما يكتب فإنه يرفع قشرة ملكية القديمة الحاملة للحصار المذكور، ولا يوجد سبيل غير ذلك، لا يوجد لها مكان ما لم تكن هو، أما لو كانت هي، فذلك كي تحطم كل شيء كي تكسر إطار للمؤسسات كي تنسف القانون، كي تدمر الحقيقة وهي تضحك»³ استعملت المرأة الرواية النسوية في كسر كلّ القيود، بسبب ما

¹ - بام موريس: الأدب والنسوية، تر: سهام عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2002، ص 29.

² - المرجع نفسه؛ ص 38.

³ - المرجع نفسه؛ ص 187.

عاشته وما تعيشه من آلام، فهي تكتب من أجل هدم الحصار الذي فرضه المجتمع الذكوري، وتغيير القيم الإجتماعية والقانونية وإبطال الحقيقة المطلقة.

تعتبر المرأة عن أوجاعها بالقلم وهي سعيدة، لأنها ستغير واقع مرير كان يلاحقها «كان النهار الأنثوي هو القلم والمجلة، وهذا تحوّل نوعي ثقافي يكسر احتكار الرجل للقلم، ولوسائل الكتابة والنشر»¹ فاتخذت من الكتابة سلاحا تستخدمه، بعدما كان حكرا على الرجل وحده، فما كان عليها إلا أن تكسر ذلك الوضع بقلمها «إنّ الذّهنية الثقافية والمتحضّرة، تسعى إلى أن تدفع المرأة إلى تحقيق أهداف كتاباتها النسوية الإبداعية والنقدية الخاصة، إلى جانب أن تلتزم بالكتابة عن قضايا المجتمع المصيرية، التي يكون تغييرها تغييرا لواقع المرأة المأزوم نفسه في سياق التحوّل الإجماعي الإيجابي ككل»² سعت النسوية لحصد ثمار ما تكتبه المرأة، بالتزامها بقضايا المجتمع وتغيير الحالة التي هي عليها، فإذا تغير واقع المجتمع بتغيير واقع المرأة المزري في سياق التحوّل الإجماعي الإيجابي.

لعبت الرواية النسوية الجزائرية دورا هاما وبشكل أخص في عملية التحرر، وكشف تصورات وأحلام، ظلّت مكبوتة بالصمت والخفاء، لتخرج بها إلى العالم المعاش بالكتابة، فوضعت معايير جمالية لتطبيقها على النصوص التي تكتبها المرأة «تقول إيلين شوالتر: إن اختلاف حياة المرأة وواجباتها، ينتج عنه بالضرورة مضمون مختلف في أعمالها الأدبية، وإن هناك من الملامح المشتركة بين هؤلاء المؤلفات، ما يكفي لرسم تقاليد أدبية نسائية واضحة ومحددة»³ كل رواية لها حياتها ونمط عيشها وما مرت به، وهذا يبين أن مضامين

¹ - عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، ص128.

² - حسين مناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ص68.

³ - سارة جاميل: النسوية وما بعد النسوية، تر: أحمد الشامي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2002، ص198

الروايات المختلفة راجع إلى أن الفروق والواجبات المفروضة عليها تختلف، حتى وإن اختلفت فإنها تشترك في رسم تقاليد أدبية نسائية تربط بين كل مضامين الرواية.

تُمثل الرواية طريق اتخذته الكاتبات، من أجل التعبير عما تود قوله «ففي الشكل الأجناسي وهو الرواية، ووجدت المرأة متنفساً ومساحة أكبر كي تقول هويتها وتطلق العنان لقريحتها الإبداعية»¹ في جنس الرواية استطاعت المرأة أن تبديع كما تشاء، دون قيود ولتعبّر عن هويتها كما تشاء «ممارسة جنس الرواية ليقطن هويتها الجريئة، باعتبار أنّ جنس الرواية هو الأقدر على استيعاب همومهم، وهنّ اللواتي مارسن فنونا أجناسية أدبية سابقة لتجسيد كل تلك الهواجس والقضايا»² الرواية هي الجنس الأدبي الأبلغ والأصح لنقل حالة المرأة المتألّمة وإيصال همومهم، حتّى وإن استعملت الكاتبة أجناساً أدبية أخرى، إلا أنّ الرواية تأتي في المنزلة الأولى لأنّها تنقل ما في الواقع المعاش.

ما جعل من الرواية النسوية الجزائرية محكومة بمركزية الحرّية، فالكتابة ليست للمتعة فقط، وإنما لهدف ولغاية ترمي إليها وهي الإرتقاء بالرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وإنصافها بتحقيق المساواة وتتوير دريها «لم تقف المرأة عند حدود كونها قارئة جيدة أو بطلة في الرواية لكنها مارست الكتابة ونبغت روائيات عديدات وفرضن وجودهن في مجال الإنتاج الروائي»³ فكون المرأة قارئة ماهرة، إلا أنّ هذا لا يمنعها من أن تكون روائية وكاتبة، تبديع أشكالاً عدّة ومنه برزت روائيات في الكتابة.

صورت العديد من الروائيات الواقع الأليم الذي تعيشه الجزائر، وهذا ما دفعهنّ للكتابة عنه، فاتخذن القلم خير رفيق في سرد أحداث الواقع المزري «في عز الأزمة الجزائرية ظهرت رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، ورواية "لونجة والغول" لزهور ونيسي،

¹ - سعيدة بن بوزة: الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، ص 97.

² - المرجع نفسه؛ ص 93.

³ - سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية، د ط، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان د س، ص 200.

في نفس السنة لتكون أول روايتين نسائيتين جزائريتين مكتوبتين بالعربية [...] وتعتبر روايات المحنة الجزائرية، التي رغم قلتها إلا أنها كانت أفضل حاضن لوطن جريح في وقت كان الموت في كل مكان، وكانت الروايات لا يمكن إلا كلمات صادقة متولدة من قريحتهن المتألّمة، لتتجاوز همومها الذاتية كامرأة وهي تحكي هموم وطنها¹ كانت كل الروايات المكتوبة وليدة من نساء خضن آلاما وأحزانا بسبب الحرب والعشرية السوداء، لتمنح لنفسها ولذاتها العنان من أجل إبداع أفضل، والتي اعتُبرت أبلغ فن أدبي.

2. مفهوم المرأة والصورة:

1.2 مفهوم المرأة:

• لغة:

ورد مصطلح المرأة في معجم مقاييس اللغة بمعنى «مرأ الميم والراء والهمزة، وإذا همز خرج عن المقياس، وصارت فيه كلمات لا تقاس بقال امرؤ وامرآن، وقوم امرئ، وامرأة تأنيث امرئ والمروة هي كمال الرجولة، وهي مهموزة مشددة ولا يبنى منه فعل، والمرأة مصدر الشيء»² فامرأة هي تأنيث امرأ.

كما جاء في لسان العرب «امرأة: تأنيث امرئ، وقال ابن الأنباري: الألف في امرأة وامرئ، ألف وصل وقال: فالعرب في المرأة ثلاث لغات: يقال هي امرأته وهي مرّته وحكى ابن الأعرابي: أنه يقال للمرأة إنها لامرؤ صدق كالرجل قال: وهذا نادر»³ فالمرأة تأنيث امرء ولها ثلاث صياغات امرأته، مرّته، أما الأعرابي فذكرها أنها امرؤ صدق كالرجل.

¹ - سعيدة بن بوزة: الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، ص 92.

² - أبي الحسن بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، المجلد 5، د ط، دار الجبل، بيروت د س، ص 315.

³ - ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، ط 1، دار صادر، بيروت 1990، ص 156.

كما جاء أيضا في معجم المنجد «مَرَأً: صار كالمرأة هيئة وحديثا [...] امرأة: جمع نساء ونسوة، كائن بشري مؤنث، بعض البلاد أعطت للمرأة حق الإقتراع، أنثى رجل أي زوجته، ذهب وامرأة أي بلغت امرأة ملتزمة أي امرأة ذات تحشم متكلف ومبالغ فيه»¹ فمرأ كائن بشري مؤنث: جمعه نسوة، كما أعطى لها حق المشاركة في الإنتخابات .

كما جاء في كتاب فصول عن المرأة «مرأة مؤنث مرء، ومرء في السامية القديمة: مرا ومؤنثة مراة ويعني السيد المولى، وهو في السريالية مار ويلقب به شيوخ الدين مار: فلان [...] وتطور معناه ولفظه في العربية إلى مرء ومرأة ويعني الرجل وأنثاه، وليس له جمع من جنسه، ومرأة لها عدة صيغ فالى جانب مرأة نقرأه إمراة ومرة ومرارة، والأخيرة على اللفظ السامي القديم، والمرة والمرارة هما الدارجان في لغة الكلام المعاصر»² فالمرأة مؤنث مرء، وفي السامية القديمة مؤنثه مواء، بمعنى السيد المولى، فقد تطور في العربية إلى مرء ومرأة بمعنى الرجل وأنثاه، ولديها ثلاث صيغ مرة إمراة ومرارة .

ورد أيضا «مَرَأة: مؤنث مرء، اختص بالأنثى مقابل الرجل إمراة: مؤنث إمرا، بنفس المعنى والنسبة إليها إمراة، مرّة: إمراة، وفي الدارجة العامية المعاصرة والنسبة إليها مرّتي، مرات مخفف وترد في العامية المعاصرة منسوبة في الغالب: مرّاتي، ومرأة فلان»³ ونجد أن معنى مرأة مؤنث مرء، وهو مختص بالأنثى، أمّا في الدارجة العامية المعاصرة نجدها بمعنى مرّاتي ومرأة فلان.

¹ - المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت 2001، ص1328.

² - هادي العلوي: فصول عن المرأة، ط1، دار الكنوز الأدبية، بيروت 1996، ص9.

³ - المرجع نفسه؛ ص117.

كما جاء أيضا «نساء جمع امرأة، متصور في السامية أقدم ففي العبرية نشيم والمفرد أشبه على غير لفظ الجمع كما في نساء وامرأة، والنساء متطورة عن نشيم، ولجمع النساء صبغتان أخريان هما نسوة ونسوان ونساوين، عامي والمستعمل في لغة الكلام سنوات وسنين»¹ إن جمع امرأة هو نساء، فالمفردة على غير لفظ الجمع، وجمعها نسوة ونسوان.

اصطلاحا:

تعتبر المرأة روح المجتمع «فمصطلح مرء إيجابي دائما، يمثل المعيار ويشير إلى الإنسانية عموما، وامرأة مصطلح ثانوي يشير إلى ما هو آخر بالنسبة للمعيار وبهذا لا يكون لكلمة امرأة معنى إيجابي في حد ذاتها لكنها تُعرف في علاقتها بالرجل بأنها ما ليس رجلا»² إن مصطلح المرأة تعني السمة الإيجابية والإنسانية، فهي تختلف عن الرجل في عدة أمور «فعبّر كل الثقافات توجد الأنوثة لتمثل الطبيعة والجمال والنقاء والطيبة»³ ترمز المرأة لكل أشكال الجمال في الكون من نقاء وطيبة، ووجودها في الطبيعة نعمة للحياة الإنسانية «فليست المرأة الكائن الأجمل فحسب، بل أيضا الأرقى والأقدر»⁴ كما نجد أن المرأة ليست فقط الكائن الأجمل بل هي الأرقى والأقدر، لها شأنها، قيمتها وكرامتها التي تعلقو بهم «فالمرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة»⁵ فالمرأة تولد طفلة حتى تكبر لتصبح امرأة جميلة، رقيقة، لطيفة، مليئة بالحنان والعطف والحب وهي كالوردة الحمراء التي تزيد جمالا للبلستان، رمز للبهجة والسرور.

¹ - هادي العلوي: فصول عن المرأة، ص 17.

² - بام موريس: الأدب والنسوية، ص 46-47.

³ - بام موريس: الأدب والنسوية ص 47.

⁴ - يمى طريف الخولى: النسوية وفلسفة العلم، ص 30.

⁵ - المرجع نفسه؛ ص 37.

تقول دهاء علاونة في المرأة «المرأة معرفة بالطبيعة، والرجل معرف بالثقافة وتميز الرجل عن المرأة، لا تتبع من حقيقة بيولوجية بقدر ما تتبع من الممارسات الثقافية للرجل، والنساء معرفات بالطبيعة على طول الخط التصوري للتاريخ الإنساني البيولوجي»¹ المرأة ترتبط بالطبيعة لجمالها ورونقها، بخلاف الرجل الذي يلقب بالثقافة، فهي أجمل ما في الكون فهن حور عين هرين من الجنة.

يقول توفيق الحكيم عنها «إنّ عقل المرأة إذا ذبل ومات، فقد ذبل عقل الأمة كلّها ومات»² فهذه مقولة تبين أنّ المرأة هي الأمة، فالأنثى هي أصل الوجود «وقد أدرك الإنسان البدائي المكون من الذكورة، أنّ الأنثى بالطبيعة أصل الحيات بسبب قدرتها على ولادة الحيات الجديدة واعتبرها أكثر قدرة من الذكر، وبالتالي أعلى قيمة، ومن هنا سادت الفكرة في العهود أنّ الآلهة أنثى، أنّها آلة الإخصاب والولادة و الخضرة والوفرة والخير وكل شيء مفيد»³ المرأة هي أصل الوجود والحياة، وبها النماء لأنها هي التي تتجب وتعطي مولودا صغيرا، وبالتالي فهي ذا قيمة، وهي تتميز بكلّ ما هو خير ووفرة، وخضرة وكل ما هو مفيد للبشرية.

تختلف التعريفات وتتعدد «مصطلح المرأة كلّ حسب رأيه الخاص به، ورأيه الذي يجده مناسباً لهذا المصطلح، ومنهم من إتجا إلى الفن بمختلف ألوانه وعرفها بالعواطف، ومنهم من ذهب إلى المجتمع والواقع، وموقع المرأة في هذا، ومنهم من ذهب إلى العلم ليدرس التكون البيولوجي والنفسي والعفوي للمرأة [...] فالفنان يبدع ويبحث عن ما هو ملهم، فمنهم من وجد ضالته بالمرأة ومنهم من يراها حنوناً، أو يراها لبؤة بلا لقب، ومنهم

¹ - دهاء علاونة: تعريف المرأة والرجل، الحوار المتمدن، 22-2-2007، من موقع WWW.M.ahauar.org

² - أقوال توفيق الحكيم عن المرأة، من موقع www.hekams.com

³ - إمام عبد الفتاح إمام: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت د س، ص 154.

من يراها كل مسببات الحب ومنهم من يرى جسدها لوحة وإبداع من الخالق»¹ فصور المرأة في الفن، وأيضاً في العواطف والمجتمع والواقع إضافة العلم والحنان، ومنهم من يراها لبؤة والبعض يصفها بالحب واللوحة والإبداع، فكلها مصطلحات تصفها بالجمال والروعة وفي الوجود.

1.2 مفهوم الصورة:

• لغة:

ورد مصطلح الصورة في لسان العرب «صور: في أسماء الله تعالى المصور هو الذي صور جميع الموجودات، ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها، ابن سيده الصورة في الشكل، قال فأما ما جاء في الحديث من قوله خلق الله آدم على صورته فيحتمل أن تكون الهاء راجعة على اسم الله وأن تكون راجعة على آدم، فإذا كانت عائدة على اسم الله تعالى، فمعناه على الصورة التي أنشأها الله وقدرها فيكون المصدر حينئذ مضافاً إلى الفاعل لأنه سبحانه هو المصور أن له عز اسمه وجل صورةً ولا تمثالاً»² فالله عز وجل أنشا الكون، ووضع لكل شيء فيها صورة تميزها عن باقي الأشياء الأخرى.

أما معجم الوسيط فيعرف الصورة «صوره أي جعل له صورة مجسمة، وفي التنزيل العزيز ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ [من سورة آل عمران، الآية {6}] والشيء أو الشخص: رسمه على الورق أو الحائط، ونحوهما بالقلم أو العرجون، أو بآلة

¹ - هيثم العاقر: تعريف المرأة، الحوار المتمدن، 8 مارس 2015، www.m.ahewar.org>s.asp

² - ابن منظور: لسان العرب، الجزء 6، ط1، المطبعة الميرية ببلاط، مصر 1300هـ، ص143.

التصوير، والأمر: وصفه وصفا يكشف عن جزئياته»¹ فمعنى الصورة هنا، عبارة عن صورة مصورة مجسدة، وفي الآية الكريمة بمعنى يخلقكم كما يشاء في الأرحام من ذكر أو أنثى، و إذا حسن وقبيح وشقي وسعيد.

ورد في معجم المنجد «صور وهي أعطى شكلا وصورة، رسم: هي صور وحروف، صور رعاة، صور شكلا هندسيا، التقط بآلة التصوير ومعناها صور منظر الشاطئ، زين بالصور والرسوم، صور كتابا مثل الرسم أو الزيت أو النحت ونحوي ذلك، صور شخصا وصف دقيقا، روى بصورة حسية صور الحياة، أبرز شيئا وأعطى فكرة واضحة عنه، وأتى بوصف يكشف عن جزئياته، وهو صور معايب»² قدم مفهوما للصورة من عدة نواحي، كالنقاط صورة وهو تصوير منظر ما، إضافة إلى صور شخصا بوصفه وصفا دقيقا، صور الحياة بأنها فكرة واضحة تهدف وتكشف عن جزئياته.

وأضاف أيضا «صورة: جمع صور كهيئة الشكل، وهي صورة بشرية صنع الله الإنسان على صورته، رسم كتاب مزين بالصور، كل ما يصور بكل آلة تصوير شمسي التقط صورة، نقش على نقد أو وسام يمثل وجه الشخص، وهي قطعة نقدية عليها صورة ملك، كتابة منقولة عن أصل أو كتابة أخرى بدقة وتطابق، وهي صورة طبق الأصل، صورة وثيقة الولادة، صورة عقد صورة شيء خياله في الذهن والعقل»³ فجمع الصورة هي صور، حيث قدم عدّة تعاريف للصورة التي تنشأ في الذهن والعقل، فإذا ذكرنا الصورة البشرية، تنشأ في ذهننا صورة لخلق خلقه الله، إضافة إلى التقط صورة التي التقطت بواسطة آلة التصوير.

¹ - محمد عبد العزيز القلماوي: عبد الوهاب سيد عوض الله: معجم الوسيط، الجزء 1، ط3، شركة إعلانات الشرفية مطابع الأقيست، د ب 1985، ص 548.

² - المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص 862.

³ - المرجع نفسه، ص 861.

كما جاء في معجم الكنز معنى «صور الشيء أي جعل له صورة مجسّمة»¹ أي جسد الشيء المعنوي في شيء مادي وملموس.

كما جاء في كتاب الوسيط «الصورة هي الشّكل والتّمثال المجسم، وفي التّنزيل العزيز ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [من سورة: الإنفطار، الآية {8}] فصورة المسألة أو الأمر صفتها أو النّوع هذا الأمر على ثلاث: صور وصورة الشيء ماهيته المجردة وخياله في الذهن والعقل»² فجسد الصّورة في معاني ثلاث لتصويره للشيء في الملموس والخيال الذي ينشأ في الذهن من جزاء تلك الصورة.

• اصطلاحاً:

هناك عدة تعاريف للصورة، متباينة فيما بينها فأرسطو يقول «لا تفكر الروح أبداً من دون الصورة، هكذا كان أرسطو يقول»³ يرى أن الصورة من دون الروح لا معنى لها، فهي التي تبيّننا «تمثيل شبه أمين لجزء من الحياة الواقعية، ذات وجوه وزوايا متعددة، يمكن أن توجد كإعادة بسيطة للواقع، كما تحمل الصورة المقدمات المادية، مثل البعد والوزن والألوان، إلى جانب اختلافها حجماً معيناً أو مقاساً معيناً»⁴ فالصورة هي تمثيل مماثل لجزء من الحياة التي يريد المصوّر تصويرها، بزوايا عديدة، وهي إعادة للواقع فالصورة هي نسيج من الألوان والبعد والوزن وتكون بحجم ومقاس معين.

تعد كلمة صورة من الكلمات المتداولة «بدأً من الإشارة إلى عملية إعادة الإنتاج أو النسخ للشكل الخاص، بإنسان أو بموضوع معين، إلى الإشارة إلى كل ما يظهر على نحو

¹ - معجم الكنز، عربي-عربي، د ط، منشورات عشاش، الجزائر 2005، ص216.

² - محمد عبد العزيز القلماوي: عبد الوهاب سيد عوض الله: معجم الوسيط، الجزء1، ص548

³ - عبد الحميد شاكر: عصر الصورة السلبية والإيجابيات، د ط، عالم المعرفة، الكويت1978، ص8.

⁴ - الصورة: souma tv، 2012-1-25، من موقع soumatv.blogspot.com.

خفي، وبخاصة إذا كان غريبا وغير متوقع»¹ فالصورة هي عملية إعادة الصياغة للشكل، الذي يريد المصور تصويره، وهو كل ما يكون خفي وغريب، فهناك كذلك معاني عامة أخرى للمصطلح.

تظهر الصورة في عدة تعاريف «تجسد الخصائص المرتبطة بالصورة المرئية، وكذلك الجوانب العقلية، والتي تشمل على الوصف الحي، الإستعارة الأدبية والرمز الأدبي، الرأي والتصوير والطابع الذي يتركه شخص أو مؤسسة كما تفسرها أو تقدمها وسائل الإعلام الجماهيرية»² إضافة إلى كل ما ذكر لها معاني أخرى، وهي تجسد معنوي محسوس، فالصورة المرئية مرتبطة بالجانب العقلي، الذي ينشأ في الذهن، والذي يشمل على الوصف الحي للشيء المصور، فكل من الإستعارة الأدبية والرمز الأدبي والرأي والتصوير، كلها صور ذهنية ذات طابع يتركه شخص أو مؤسسة، كما تقدمها وسائل الإعلام الجماهيرية للجمهور فالنفاذ مثلا يقدم صولا للجمهور الذي ينشأ عنده تصور لما رآه.

تعدّ الصور جزءا من التصور الذي ينشأ في الذهن «إنّ الصور هي أشبه بالجزء الطبيعي من حاسة الوجود الأساسية الخاصة بنا، وهي تمثل كذلك الإرتدادات الأكثر عمقا داخل أنفسنا، الصور وثيقة الصلة بالمدى الكلي للخبرات والتعبيرات الإنسانية، وهي تمتدّ من المستوى الذي تقدمه الخبرات العملية إلى أفاق الأساطير الرمزية وتجلياتها»³ إنّ الصورة متعلقة بالإنسان، فالصور لها علاقة بما يقوله وما يفعله الإنسان، وهي مرتبطة أيضا بأساطير تعبيرية إيحائية «فتشير كلمة الصورة إلى التشابه والمحاكاة»⁴ كلمة صورة هي تقليد لشيء حقيقي أو عملي أو فيزيائي، يحاول أن يقدم المميزات، التي تتميز بها

¹ - عبد الحميد شاعر: عصر الصورة السلبيات والإيجابيات، ص8.

² - المرجع نفسه؛ الصفحة نفسها.

³ - المرجع نفسه؛ ص9.

⁴ - المرجع نفسه؛ الصفحة نفسها.

الصورة المجردة، «ففي اللغة العربية فإن كلمة صورة تعني هيئة الفعل أو الأمر وصفته»¹ فالصورة هي صفة الشيء، وصورته التي تكون مشابهة للصورة التي مثلت، لإعادتها بنفس الصفة لتكون شبيهة للصورة الملموسة.

2. دوافع المرأة الجزائرية للكتابة:

شهدت المرأة الجزائرية منذ أمد بعيد، أنواعا من القهر والتسلط من قبل الأسرة والمجتمع، وكأنها لا تتساوى مع الرجل في الحقوق والواجبات، فينظر المجتمع إليها نظرة دونية، فظلت مهمشة وليس لها أي دور ولا أي حق في التعبير، فالمجتمع بتقاليد الإجماعية، التي تعظم الرجل وتمنح له السيادة دفعت المرأة للكتابة «إذ كان الرجال طوال قرون يضللون النساء، كي يعتقدن أن العالم الخارجي قاس وعاصف، ولا يمكنهن الإبحار عبره، وأن الرجال هم القادرون على هذه المهمة، بينما يتناسب مواهب النساء الصغيرة الأمور المحلية والعائلية»²، المجتمع الذكوري مسح هوية المرأة وجعلها في بيئة مغلقة ومظلمة، وأنها غير قادرة للخروج إلى العالم الخارجي، لأن مكانها ينحصر فقط في المنزل والتربية، كما مورس عليها شتى أنواع الظلم، العنف والتسلط من قبل السلطة الأبوية.

تبرز المرأة صوتها أمام المجتمع الذكوري وتصرخ ها أنا هنا، لتعكس جميع حالات القهر والإضطهاد النفسي والفكري، الذي عانتها داخل إطار المجتمع والأسرة، فاتخذت من الكتابة وسيلة لإعلاء صوتها، فرضت نفسها في الساحة الأدبية، وأعلنت وجودها في مجال الإنتاج الروائي، لتبيان وسماع نبراتها النسوية في بيئتها، ولتحقيق ذاتها وتحرير نفسها من السلطة المركزية.

¹ - عبد الحميد شاكر: عصر الصورة السلبية والإيجابيات، ص9

² - بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، ص 12.

اختارت المرأة الكتابة لتحرّر نفسها من ذلك الفضاء المغلق، وسعت لإبراز مكانتها ووجودها، فكانت الكتابة سبيل تحرّرها ووجودها، ومحاولة إزالة الظلم الذي يقع عليها «اتخاذ عدد من الكاتبات الجزائريات جنس الرواية، سبيلهنّ إلى إثبات الكيان المختلف والهوية المتميّزة، وتبرير الوجود الرّاهن، الذي ما فتئ المجتمع الذكوري تغييبه، وإلغائه تأكيداً لهامشيته»¹ لجأت الكاتبات لجنس الرواية للتعبير عن ذاتهن ومعاناتهن، وإلغاء القيود التي فرضها المجتمع الذكوري، وأصبحن يفصحن عن أنفسهن، كيانهن ووجودهن.

ينظر المجتمع إلى المرأة بنظرة خزي واحتقار، وأنها وصمة عار، فهي تخضع لقانون خاص يحكمها فرضه المجتمع، ويمارس عليه شتى أنواع الدّل، وانحط من قيمتها «إنّ المرأة مكبلة الحركة، أو أنّها فريسة سهلة لإطماع الآخرين، فيما لو قررت أن تتحرك بحريّة خارج عتبة بيتها، من هنا يبدو المجتمع الذي يهيمن عليه وعي الذكورة مسكوناً بآليات ذكورية تقمع النّساء وتصدر وجودهنّ الفاعل لأنّها فضائح أو عورات أو عيب»² إنّ على المرأة أن تكون على يقين بأنّ المجتمع ذكوريّ، لا مكان لها في بيئتهم، وهذا الأخير نفى وجودها في المجتمع الجزائري، فالّتقاليد الإجماعية همّشت المرأة وعزلتها، وجمد طاقاتها الإبداعية في الأوساط الثقافيّة.

واجهت المرأة كل العراقيل في حياتها، والقضاء على العبودية التي تعيشها، لتتفوّق عليه في مختلف الميادين «ما دامت النّساء وحدهنّ يعانين تجارب الحياة الأنثوية النّوعية، فهنّ وحدهنّ اللّائي يستطعن الحديث عن حياة المرأة بتفاصيلها الفكرية، والانفعالية الخاصة بها»³، مارست المرأة الكتابة لتسلّط الضّوء على حياتها الذاتية ومعاناتها، ومعاناة النّساء

¹ - بوشوشة بن جمعة: الرواية النّسائية الجزائرية أسئلة الكتابة، الاختلاف، التلقي، من موقع www.benhedouga.com

² - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر، بسكرة 2009، ص58.

³ - يوسف وغليسي: خطاب التّأنيث، ص6.

الأخريات، ما دمن يعشن نفس التجارب، ونفس الآلام ونفس المكبوتات، فهنّ من يستطعن الحديث عن أنفسهنّ، فالكتابة هي وسيلة لجأت إليها المرأة، كرد فعل للتعبير عن الذات، فراحت تعبر عن هموم الشعب وسلّطت الضوء على جراحها المادية، المعنوية ومآسيها المتنوعة.

تفطّنت المرأة للقلَم لتبرهن وجودها في السّاحة الاجتماعية، الإبداعية والثقافية وسعت جاهدة لتحطيم تلك السلطة أو القيم، ليبرز قوّتها ووجودها «لقد اقتضت مصالح السلطة الذكورية المرأة في قيمتها، بالنسبة للرجل أي في دورها كأنتى كزوجة وكأم، فتبدوا الأنوثة حتمية بيولوجية مفروضة على المرأة، تحصرها داخل الأسرة التي يرأسها الرجل وفقا لشروط ومتطلّبات الرجل»¹ فجعل الرجل المرأة تحت أجنحته، تَعيش وفق متطلباته قوانينه، إلّا أنّها فرضت وجودها، وحاربت من أجل إثبات هويتها الذاتيّة.

كسرت الاضطهاد الواقع عليها من قبل الرجل «لأنّ المرأة ومن ساندها يكتبون كتابة نسوية، وعبر كتاباتها النسوية تحاول استرداد حقّها المستلب، فإنّ خطابها يتمركز حول الذات (المرأة)»²، امتلكت المرأة سلاح الكتابة لتعوّض على ما فاتها، ولتأخذ حقّها الذي سلب منذ زمن من الصّمت والكبت، الذي كانت تعيش فيه، وتخرج من ذلك الفضاء المغلق، وسعت من أجل الوصول إلى أهدافها، واسترجاع حقوقها المسلوبة منها، والتخلّص من العادات والتقاليد الموروثة، التي جعلت الحكم بين يدي الرجل.

استطاعت أن تواجه المجتمع، فكانت «كتابات المرأة الكثيرة، تأثّرا لماض هي عاشته في الظلام قهرا، وأنّ المرأة تكتب لرغبتها في أن يفهمها العالم، أن تكون مقروءة مسموعة لها رؤيتها ورأيها»³ أسمعت النسوية صوتها في أوساط المجتمع عامة بفضل الكتابة،

¹ - يمني طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، ص12

² - عاصم واصل: في خصوصية الكتابة النسوية، مجلة فكر العربية، محكمة العدد الثاني، المغرب 2016، ص7.

³ - محمد الخشاب: الكتابة النسائية فقط!، 2015-5-27، 15:20، blogs.aldjazeera.net

وكانت أغلب أعمالها مقترنة بالماضي ف«كانت رغبة المرأة في الكتابة للتعبير عن نفسها، بعد حرمان دام فترة طويلة، ومنع من التعلم والظهور في الحياة، فتكتب لتناقش قضية التعليم وتحاور دورها في المجتمع»¹ سعت المرأة في الخوض إلى غور الكتابة للتعبير عن آهاتها وآلامها، بعدما حرمت من حق التعليم والتعلم، فكسرت ذلك الصمت، وجعلت لنفسها كيانا مستقلا ومبدعا، فلحقت الرجل في مختلف الميادين الاجتماعية، الثقافية والسياسية.

نجد العامل الاستعماري هو أيضا دفع بالمرأة للكتابة، ولتعبّر عن قضايا المجتمع ومأساتهم أثناء الثورة التحريرية، لتكشف عن المجتمع عامة وعن ذاتها خاصة، جراء الظروف السياسية التي طغت على المجتمع، بدءا من الاستعمار الفرنسي وصولا إلى العشرية السوداء حيث عاش الشعب حالة من الخوف والرعب، إلا أنها لم ترضخ وأبدعت في الكتابة لتعبّر عن هموم المرأة وقضاياها «لقد كانت الحرب فرصة لتعبّر المرأة عن نفسها بصورة مضاعفة، تثبت قوتها للمستعمر والرجل في الوقت نفسه، وبذلك فإن الثورة الجزائرية كانت ثورة في عقول الرجال كذلك، فقد تقبلوا كفاح المرأة في هذا المجال»² أثبتت المرأة جدارتها أثناء الثورة التحريرية، فكانت فرصة لها للتعبير عن نفسها وعن مجتمعها، ولتثبت وجودها وقوتها للمستعمر والمجتمع.

3. أسباب تأخر الرواية النسوية الجزائرية:

لا شك أنّ المنتبّع للحركة الأدبية في الجزائر، يكتشف أنّ حظ المرأة في التأليف والكتابة نادر تماما، في المرحلة الاستعمارية، على خلاف الأقطار العربية الشقيقة، التي عرفت حركة نسائية مبكرة، فظلّ الصوت النسائي في الأدب الجزائري بعيدا عن الساحة

¹ - محمد الحشاب: الكتابة النسائية فقط!، 27-5-2015، 15:20، blogs.aljazeera.net

² - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص18.

الأدبية، وذلك راجع إلى الظروف التاريخية، الاجتماعية والسياسية، التي عاشته الجزائر في ذلك الوقت.

تختلف الظروف التي واجهت المرأة «إنّ الوضع التاريخي والسياسي والاجتماعي، الذي أحاط بالأنثى على مرّ العصور، والذي كان معيقا لها وحاصرا إياها في أدوار محددة، نجد أنّ هوية هذه الأنثى وثقافتها وإدراكها قد تأثرت بهذا الوضع، ولا تزال إذ ما حصلت عليه، حتى للتو من فرص الاندماج في الحقل الثقافي، الاجتماعي والاقتصادي محدودة، مقارنة بالرجل الذي كل الفرص متاحة أمامه»¹ المرأة مقيدة أمام الظروف المحيطة بها سواء الاجتماعية، أو التاريخية أو السياسية، ما جعلها غير قادرة على الاندماج في عالم الإبداع والكتابة، فالأوضاع كانت متدهورة إلى أبعد حد، ويُرجع أكثر النقاد والدارسين تأخر الحركة النسائية الجزائرية وغيابها في الساحة الثقافية إلى أسباب وعوامل كالاستعمار الذي ارتكب عدّة جرائم في حقّ الشعب الجزائري، ممّا انعكس عليه سلبا، كالهجمات التي تعرّضت لها المؤسسات التعليمية في غلق المدارس، وهجرة الأدمغة.

مارس الإستعمار أساليب قمعية ضد المجتمع، فسلب منه كل حقوقه وحرّيته، فعاش في فقر وتبعية وأمية وخوف، وكل أشكال الاضطهاد «وضع اللّغة القومية في وضع شلّ فاعليته وحركته، ممّا نتج عنه تأخر الأدب الجزائري عامة»² قام بتضييق النطاق على اللّغة العربية وتدريسها، واعتبارها لغة أجنبية، وبذلك انتشرت الأمية في الأوساط الجزائرية.

تعيش المرأة الرعب والاضطهاد والقمع بسبب الإستعمار «لقد كانت المرأة مضطهدة كانت أشبه بالسلعة، وقد يكون لفترة الاستعمار تلك أثرها على معاملة الرجال للنساء، ذلك

¹ - بشير خلف: النصّ النسوي... تحدّ للمعوقات وتطلّع إلى الحرية، 1-4-2012 من موقع www.Ahewar.com.

² - باديس فوغالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر، ط1، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر 2002،

أنّ الإستعمار الفرنسي عرف بقسوته على الأهالي¹ فقد شهدت المرأة سلسلة من العذابات والآلام التي عرفت منذ طفولتها، عرفت حياة مأساوية، ساد فيها الظلم، الجهل والفقر، وأمام كلّ هذه الظروف، قاومت العدوان في صمت وسكوت، وعاشت في حالة جهل وكبت وحرمان.

تحكم المجتمع الجزائري عادات وتقاليد، تستنكر وجود المرأة، سواء في الحياة الإجتماعية أو الثقافية «إنّ المرأة كانت ولا زالت في التصوير غير العادل، هي أقلّ أهمية في ثنائية الرجل/المرأة على المستويين الإنتاجي والثقافي»² مازالت المرأة تعاني من التمييز القائم بين الجنسين، فهي أقل قيمة من الرجل في الأوساط الاجتماعية والثقافية، كونها تجلب العار والخزي للمجتمع والأسرة، فيقتصر دورها في خدمة زوجها وتربية أولادها، وتعيش تحت وطأة الرجل.

تكون المرأة تحت أوامر السلطة الذكورية، وليس بمقدورها أن تنفّوه بكلمة واحدة أمامه أو تخالف رأيه وأوامره «لأنها مستلبة موؤودة معنويًا، وجسديًا إلى حدّ أنها لا تحيا بنفسها لا لنفسها، إنّها للزوج وبالزوج وهي تنظر بعينه وتسمع بأذنيه وتحيا بإرادته وحدها، في مجتمع جاهلي متخلف يقيم عليه ظلام عبودية المرأة»³، لقد كانت المرأة تعيش تحت عبودية السلطة الذكورية، فهي ترتبط بالرجل وتعبدّه دون إرادة منها «فهي منذ القدم ولحظة خروجها إلى الحياة تلاقى الرّفص، والنّظرة الدّونية، إذ تعد مصدر هم وشؤم وعار على العائلة»⁴، فالمرأة منذ ولادتها تتعرض إلى رفض المجتمع لها، باعتبارها تجلب الشؤم والعار

¹ - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص 18.

² - حسين مناصرة: الثقافة والإبداع، ص 12.

المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - سعاد الطويل: الرواية النسائية العربية وخطاب الذات، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السادس، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 2010، ص 2.

للأسرة، ولهذا كانوا يفضلون الذكور على الإناث، بينما الأنثى نجدها معزولة في البيت مهمتها فقط في خدمة زوجها وتربية الأطفال.

ميزت الأسرة بين البنين والبنات، وذلك بتمييز الذكور عن الإناث «فمنذ ما قبل الوضع ترجو الزوجة والأقارب أن يكون المولود ذكرا، لأنه الأقوى في مجتمع لا يؤمن إلا بالقوة الجسدية، ولأنّ الطفل هو الحامل للقب الأسرة والوريث لها في مجتمع ذكوري»¹ إنّ عقلية المجتمع المتخلفة تفضل الذكور على الإناث، لأنّ الذكر هو الأقوى والوريث والسيد في المجتمع، وأنّ الإناث يجلبن فقط الشؤم والعار، فالتى تلد فقط الإناث تطلق أو يتزوج عليها زوجها، لتصبح ذليلة من طرف الزوج وأبيه وأمه.

كانت المرأة على امتداد مراحل التاريخ مهمشة ومقصية، في ظلّ العنف الذكوري، مستسلمة للقمع والظلم «وتعرضت المرأة للاستشهاد الطويل، وسرق منها حقا الطبيعي، وعاشت معلقة على هامش الثقافة»² فقدت بذلك الحرية التي كان بالإمكان أن تتقاسمها مع الرجل المتعطش للسلطة، فبقيت على هامش الثقافة، ينظر إليها بتفكير خاطئ، على أنّها ناقصة عقل، وأنّها كائن مسجون في بيئة مغلقة مليئة بالبؤس والاضطهاد.

تتألم بصمت، تعاني وتبكي بصمت، لا تجد من يواسيها أو من ينجيها من ذلك الحصار، من تلك الحياة المظلمة، التي لم ترى فيها النور «فالرجل لا يراها إلا متعة له، يبعدها عن ضياء العلم والحرية والسفور، ويحيطها بسياج كثيف من الجهل والجمود، فلا يظنّها أهلا لأيّ حقّ من حقوق الإنسان»³ فالنظرة الذكورية مازالت تحتقر وتضلل المرأة، لتعيش حياة الجهل والجمود الفكري، ودفن صوتها لتظل الثقافة فعلا ذكوريا قمعيا، لتكون مجرد أداة وظيفية مسلوبة الهوية والشخصية.

¹ - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص 39.

² - المرجع نفسه؛ ص 18.

³ - المرجع نفسه؛ ص 66.

تعاني الدول العربية و الدولة الجزائرية من مظاهر التخلف كالفقر، المرض والأمية التي تعتبر عائقا لتطور الجزائر، ومن الأسباب التي ولدت الأمية نذكر: عدم إكتراث الأولياء إذا درس أبناءهم أم لا، و تنتشر فيها فكرة تفضيل تدريس الذكور على الإناث، حيث لم يستطع الأولياء أن يدخلوا أولادهم إلى المدارس، لأنهم لا يستطيعون توفير حاجياتهم المدرسية، إضافة إلى إنعدام المدارس الكافية لتعليم الأطفال، والبعد عن مكان الإقامة، إنعدام وسائل النقل المدرسية، إهتمام الأطفال وميلهم الكبير إلى مجال الشغل وانقطاعهم عن مقاعد الدراسة لتوفير المال، فخلف الإستعمار عدّة مخلفات، أدت بالمجتمع إلى تفشي الأمية جراء الظروف السياسية، الإجتماعية أو الاقتصادية التي آلت إليها الجزائر.

5. أهمية موضوع المرأة في الرواية:

استقطبت موضوع المرأة إهتمام الأدباء والمفكرين «فالأهم من الكتابة عن تجربة المرأة بطريقة، تساهم في مساعدة الناس على فهم التجربة الأنثوية والاعتقاد السائد هنا، بأنه مادامت النساء وحدهن يعانين تجارب الحياة الأنثوية النوعية، فهن اللاتي يستطعن الحديث عن حياة المرأة بتفاصيلها الفكرية، والانفعالية الخاصة بها، فالمرأة لا تنظر إلى الأشياء كما ينظر إليها الرجل، وتختلف مشاعرها وأفكارها إزاء ما هو مهم وغير مهم»¹ إن أهم ما تسعى إليه الرواية النسوية، الحديث عن ما تعانيه المرأة من أجل تغيير ولو بعض من وضعها، فالرجل لا يرى الأشياء كما تراها المرأة، فهي الوحيدة التي تستطيع الحديث عن نفسها بطريقة أبلغ، إضافة إلى أنها القادرة على فهم ما تعانيه أختها المرأة، وتفهم مشاعرها وأفكارها، بخلاف الرجل الذي حتى وإن فهمها، إلا أنه لا يستطيع فهم كل ما تعانيه.

يعد الحديث عن موضوع المرأة بارزا في أعمالها «الكتابة الأنثوية تهدف إلى هدم سيطرة المواقف الذكورية، التي استمرت لفترات تاريخية طويلة، بفعل عوامل تراثية

¹ - الخطاب النسائي في الأدب والنقد، من موقع www.uop-edu.jo

متعددة، ومن الطبيعي أن تكون المرأة في كتاباتها، عاملاً إيجابياً بارزاً في هذا الإطار»¹ إضافة إلى أن المرأة هي الوحيدة التي تفهم ما جاء في نصوصها الروائية، وهي تهدف أيضاً لكسر السيطرة الذكورية التي استمرت إلى وقت طويل.

تعتبر الكتابة عامل من أجل النهوض بالمرأة «النسوية رغبة ملحة في زيادة وعي المرأة، علماً بأن الكتابة عن تجربة المرأة الذاتية لا تخرج من هذه الغاية، ولتأخذ على سبيل المثال ما يمكن للنص الأدبي النسوي أن يطرق في هذا المجال، وليكن هذا النص قصة»² أما الأهمية الثالثة هي زيادة وعي المرأة، فسعت النسوية إلى زيادة الوعي بين النساء من أجل معرفة الأخطار الناجمة جزاء صمتها ومكوثها، لما تعيشه من ظلم عليها «الرواية تفرق عن تقديم الحلول، من خلال الشخصيات التي تقدمها، وتترك للقارئة حيزاً واسعاً، تقارن فيه مشاكلها الخاصة بمشاكل هذه الشخصيات، ومن ثم تحاول الكشف عن أسباب هذه المشاكل مما يساعدها على إتخاذ القرار أو الحل الأنسب»³ أما الأهمية الرابعة من الرواية النسوية، فهي الكشف عن أسباب المشاكل التي تعاني منها المرأة في الرواية وإسقاطها على الواقع، لتساعدها في إتخاذ القرارات في حياتها، بفضل الحلول التي تقدمها الرواية لمقارنة بشخصيات الرواية، وترك المجال للقارئ من أجل المقارنة وإيجاد الحلول المناسبة لمشاكلها.

تدعو الرواية النسوية إلى «من بين الوظائف التي تدعو إليها الرواية النسوية، تحميل الأعمال الأدبية ولاء لحركة تحرير المرأة، إبراز الصراع والصدام مع الوسط أو المحيط، فالعمل الأدبي يبرز بشكل واضح، تجربة اضطهاد المرأة في محاولة لخلق نساء تبشر تصرفاتهنّ بنظام اجتماعي جديد، يحقق ذات المرأة غير المعتمدة على الرجل»⁴

¹ - الخطاب النسائي في الأدب والنقد، من موقع www.uop-edu.jo.

² - الموجع نفسه.

³ - الموجع نفسه.

⁴ - الموجع نفسه.

فكان أهم ما جاء في الرواية النسوية أنّها تسعى إلى تحرير المرأة من كل أشكال القهر، السلب، التسلط، العنف، وإظهار الصراع مع المجتمع، والعمل لإبرازه بشكل واضح. تعتبر المرأة في المجتمع الجزائري مجرد ثقل على الرجل، والذي سعى لتهميشها وقهرها «موضوع المرأة له أهمية بالغة، كونه يعالج المشاكل المطروحة، التي تحدّثت عنها الشرائع السّماوية والقوانين الوضعية، وتناولتها البرامج السياسية، باستحواذ المرأة على قلب الرجل كونها، فوجود المرأة في الأدب يحتل مساحة كبيرة، وهذا ما بينته الدراسات الأدبية والاجتماعية بكثرتها سلبا وإيجابا فكل هذه البحوث والدراسات تجرى في أماكن كالجوامع ومراكز التعليم والمدن، ولمعالجة قضية المرأة في الأعمال الأدبية والروائية بشكل خاص، فنتناول مشكلة خضوع المرأة واضطهادها والجهود التي تبذلها، فتمتاز الأعمال الأدبية خاصة الرواية بالحرية في التناول والجرأة في الطرح، وإعطاء التصور الذهني والبدلي للتصور الذهني للمرأة، كما يتخيلها الروائي، كما ارتبطت الرواية بالواقع والمجتمع الجزائري لمعالجتها لقضية المرأة»¹ إنّ الرواية النسوية الجزائرية لها أهمية كونها تعالج قضايا المجتمع ومشاكله كالظلم، التعسف، التخلف، القهر والتهميش.

تحاول إيجاد الحلول، ولكسر القيود وتحطيم ذلك الاضطهاد المفروض عليها بكون المرأة جزء لا يتجزأ من المجتمع، فإذا همّشت المرأة همش المجتمع، وإذا ارتقت المرأة ارتقى المجتمع بكونها أخت، وأم، وزوجة، فالرواية هي خير رفيق للكتابة، تنشر الوعي في وسط المجتمع النسوي بامتيازها بالحرية في الطرح، لتعالج بها قضايا المجتمع والواقع المعاش.

¹ - ينظر: صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص 9-10.

الفصل الأول

1. المبحث الأول: دراسة العنوان "تشرفت برحيلك"

1.1 دلالة العنوان لغة:

• كلمة الشرف:

بالاعتماد على معجم لسان العرب لابن منظور سنحلل كلمة شرف:

فكلمة الشرف «الحسب بالآباء، شَرَفَ يَشْرُفُ شرفاً وشرفه وشُرْفَةٌ وشُرَافَةٌ فهو شريف والجمع أشرف، غيره: والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء، يقال شريف ورجل ماجد له آباء متقدمون في الشرف، قال: والحسب والكرم يكونان، وإن لم يكن له آباء لهم شَرَفٌ، والشرف: مصدر الشريف من الناس، وشريف وأشرف مثل نصير وأنصار، شهيد وأشهاد، الجوهرى والجمع شرفاء وأشرف، وقد شَرَفَ بالضم، فهو شريف اليوم [...] الجوهرى: وشَرَفَه الله تشريفاً وتشرف بكذا أي عده شرفاً»¹ فكلمة الشرف مأخوذة ومستقاة من النسب بالآباء، فإذا كان الآباء أشرف نسبت الكلمة إلى الأولاد.

أما في معجم القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي:

فكلمة الشرف «محرّكة، العلو، والمكان العالي والمجد، أولاً يكون إلا بالآباء، أو علو الحسب ومن البعير سنامه، والشوط أو ميل، ومنه فاستنت شرفاً أو شَرَفَيْن [...] وتشرف: صار مشرفاً، وتشرف القوم بالغم: قتلت أشرفهم»² تعود إلى الآباء ونسبة إلى المكان العالي، والقدر العالي، والنسب الشريف، الذي ينسب به الأبناء نسبة إلى أوليائهم.

• كلمة رحيل:

بالاعتماد على معجم لسان العرب لابن منظور سنحلل كلمة الرحيل:

¹ - ابن منظور: لسان العرب، المجلد9، ص169.

² - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، د ط، دار الحديث، القاهرة 2008، ص855.

الرحيل «ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحل وهو راحل، ومن قوم رُحِل: انتقل، الترحل والارتحال: الانتقال وهو الرحلة، والرُّحلة [...] والرحيل اسم ترحال القوم المسير، والرحيل: القوي على الارتحال والسير، والأنثى رحيلة، وفي حديث النابغة الجعدي: أن ابن الزبير أمر له براحلة رحيل، وقال المسرد: راحلة رحيل أي قويّ على الرُّحلة، الرحيل قال: والترحيل والإرحال بمعنى الأشخاص والإزعاج، ويقال: رَحَلَ الرجل إذ سار وأرحلته»¹ فمعنى الرحيل هو مغادرة المكان، والانتقال، وتغير المكان الذي كان فيه، أما الأنثى فيقال لها رحيلة، وإذا قيل رحل الرجل فمعناها السير، والذهاب إلى أي مكان.

أما في معجم القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي فكلمة «رحل كمنع: انتقل، ورحلته ترحيلا، فهو راحل من رُحِل، كركع وفلان بسيفه: علاه والمترحلة: واحدة المراحل، وراحله: عاونه على رحيلته واسترحله: سأله أن يرحل له [...] وارتحل البعير: سار ومضى والقوم عن المكان: انتقلوا كترحلوا والاسم: الرُّحلة بالضم والكسر، أو بالكسر: الارتحال، وبالضم الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة، والرحيل كأمير: اسم ارتحال القوم ومنزل بين مكة والبصرة»² فالرحيل معناه الانتقال والسفر من مكان إلى آخر، وهجره والابتعاد عنه، فإذا قلنا ارتحل البعير أي مثني وانتقل، كما أن هناك منزل بين مكة والبصرة اسمه الرحيل.

2.1 دلالة العنوان اصطلاحا:

يعتبر العنوان البوابة الأولى للولوج إلى النص الأدبي، فهو يستوقف القارئ ويثير انتباهه، كما يعتبر الممهّد للاقتراب من النصوص للوصول إلى دلالات معينة «العنوان

¹ - ابن منظور: لسان العرب، ص 278-276.

² - الفيروز أبادي: قاموس المحيط، ص 626

مفتاح سحري لولوج عالم النص، وقديما قيل الكتاب يقرأ من عنوانه»¹ فبالعنوان يستطيع القارئ الدخول إلى النص وفهمه «العنوان مفتاح النص، عتبه وبوابته، والنص بدوره حامل للعنوان ومبرمج له»² فيكون العنوان أوّل شيء يتأمّله القارئ، وبه يدخل إلى خبايا النص، الذي ضمن العنوان في طياته.

يظهر العنوان جلياً في الرواية «إرحل، إرحل، فأنا أيضاً تشرفت!!! غادر وأمه لا تزال تعوي أنا جائئة على الأرض أكرّر تشرفت برحيلك، تشرفت برحيلك»³ من خلال النصّ يمكن فهم محتوى رسالة العنوان، فيرتبط أشدّ الارتباط بالنصّ، الذي يعنونه، وهو عبارة عن نص مكثّف يتعامل مع نص كبير يعكس كل أبعاده، فحين ذكرت الكاتبة العنوان في ثنايا النصّ نرى أنّ العقدة حلّت فيها، وتخلّصت من تلك الحياة المأساوية التي تعيشها، فلا شكّ أنّه يشكّل نقطة مركزية ولحظة للتأسيس.

يتّم العبور إلى داخل النصّ بفضل العنوان، فهو آخر شيء يكتبه الكاتب، وهو أوّل شيء يراه القارئ ويحاول من خلاله الدخول إلى عالم الرواية «رجعت ما كتبت ونقّحته وسمّيته تشرفت برحيلك»⁴ فبعد أن عاشت البطلة حياة مأساوية قرّرت في النهاية مقاومة مخاوفها وآلامها، وكتابة قصّة حياتها تحت عنوان تشرفت برحيلك، الذي يُعبّر عن الرفض الاجتماعي والأسري البائس للواقع الراهن المأساوي في فترة العشرية السوداء.

تُحاكي الرواية واقع مرير من بدايتها إلى نهايتها في قصّة حياة بطلة الرواية فاطمة الزهراء حيث تقول: «بين لحظة تشرفت برحيلك بمعرفتك ولحظة تشرفت برحيلك ثماني

¹ - الطيب بودريالة: قراءة في كتاب سيمياء العنوان، للدكتور بسام قطوس، قسم الأدب العربي، جامعة باتنة، من موقع .dspace.univ-biskra.dz.

² - المرجع نفسه.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن 2016، ص223.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص238.

عشر سنة من العبودية والذل، زواج شرعي غير إنساني»¹ فلخصت تلك المدّة في عبارة واحدة، وهي "تشرفت برحيلك" التي إذا قسمناها إلى جزأين، فكلمة تشرفت تستخدم للقاء، فحين يقال تشرفت بمعرفتك، تشرفت بك، نستنتج أنّ هذه الكلمة إيجابية في حد ذاتها، أما كلمة الرحيل فهي تستخدم في عبارات الذهاب، فهي كلمة سلبية، فاستخدمت العنوان في حد ذاته لتصوير معاناة الجزائريين في تلك الفترة خاصة المرأة، وإحالة إلى الطرح الذي تتبناه الروائية، التي تستفز القارئ فيشعر بالفضول لمعرفة محتوى تلك الرواية واكتشاف مضمونها.

بدأت فاطمة زواجها بكلمة تشرفت بمعرفتك «رفعت رأسي قليلا ونظرت في وجهه دون أن أقف، حدق في دون ابتسامة وقال: تشرفت بمعرفتك»² في يوم الخطبة قال لها تشرفت بمعرفتك، وفي يوم الطلاق قالت هي تشرفت برحيلك، لتحل العقدة فيه، ولتقول البطلة لزوجها أنّها ليست بحاجة إليه، وأنها ستقاوم الحياة وتواجهها.

تقول الكاتبة "فيروز رشام" في لقاء صحفي سألت فيه عن عنوان الرواية، ولماذا اختارت هذا العنوان بالتحديد؟ فأجابت «قد يبدو عنوان الرواية عند أول وهلة قاسيا بعض الشيء، ولكن بعد قراءتنا يتبين للقارئ بأن اللغة في حقيقة الأمر عاجزة عن التعبير عن الجراح النفسية العميقة، فماذا يمكن أن تقول امرأة لرجل منحته حياتها وشبابها، فعذبها بتلك الطريقة وفي نهاية الأمر رمى بها إلى الشارع بعدما استنزفها نفسيا وعاطفيا وجسديا وحتى ماليا، فماذا عن امرأة في عمر الأربعين مطلقا بأربعة أطفال لا مال لها ولا وجهة ويضاف إلى ذلك أنها مصابة بالسرطان، في الحقيقة الجراح الروحية العميقة يعجز ترجمتها إلى لغة»³ إن العنوان في حقيقة الأمر لا يصور إلا البعض مما عاشته بطلة الرواية والمرأة الجزائرية، وهو عبارة عن نقطة من بحر مأسيتها، فاللغة عاجزة عن التصوير.

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص223.

² - المصدر نفسه؛ ص101.

³ - لقاء صحفي: قناة France 24، من موقع <http://f24.my/youtubeAR> بتاريخ 14-04-2017، 14:15.

يقابل الرجل المرأة بالنكران والجحود والقسوة والعنف، وبعد استنزافها ماليا وجسديا يرمي بها إلى الشارع، غير مكترث لحالها ولا لحال أولادها، فهي مهمشة ومنبوذة، وبالتالي تجد صعوبة في حياتها خاصة إذا كانت مريضة، ومطلقة وبأولادها لا مال لها ولا ملجأ، فهذه الرواية حقا رواية تصور واقع كثير من النساء اللواتي كن ضحية زواج شرعي لكنه غير أخلاقي، وبالتالي فالعنوان الذي إختارته الروائية حتى إن كان غليظا وجافا، إلا أنه لا يصور كل ما مرت به الجزائر في تلك الفترة وخاصة على المرأة، وكأن بطلة الرواية أخيراً تنتفس الصعداء بالتخلص من هذا الزوج الجائر بقولها «تشرفت برحيلك».

2. المبحث الثاني: قضايا المرأة المطروحة في الرواية

يعتبر الحديث عن المرأة وقضاياها، من أهم المواضيع التي تتطرق إليها الرواية النسوية الجزائرية، في أبعادها المختلفة النفسية، الإجتماعية، والفكرية «عواالم الأنوثة بتشعباتها الحميمية والعامية في نصوصها الروائية كحديثها عن الحب، الزواج، الطلاق، الجنس، أوضاع المرأة الجزائرية»¹ فالنصوص الروائية النسوية تتضمن في محتواها العديد من المواقف، فيعتبر عالم المرأة، عالم عاطفي، وحميمي بموافقة العامة، كالحديث عن الحب، الزواج، الطلاق، الجنس، الجسد، والعنف إلى غير ذلك من القضايا التي سنتطرق إليها، والتي ذكرت في رواية تشرفت برحيلك لفيروز رشام.

1.2 المرأة والعنف:

عرفت الجزائر خلال العشرية السوداء عدة أشكال من العنف، فالإرهاب يقتل ويدمر ويُفتي باسم الدين، ففؤاد ورشيد وناصر، وغيرهم من شخصيات الرواية استعملوا العنف «هذا الجيل من المتدينين، الذين ينددون صباح مساء حول الكتاب والسنة، وقال تعالى، وقال الرسول، وما الكتاب والسنة عند أهل هذا الجيل إلا أصوات مؤثرة ومواعظ محلقة تجلد

¹ - سعيدة بن بوزة: الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، ص14.

الأعصاب وتتهم الواقع»¹ إن بعض المتطرفين يفتون في كل وقت عن الدين، فهم لا يفقهون فيه شيء، ويستخدمون الكتاب والسنة، للتأثير وتقديم مواعظ مختلفة بكل كلام يقولونه، ويختبئون وراء هذه الكلمات من أجل تضليل العامة.

يمس العنف كيان الإنسان، ويلحق الأذى بالمجتمع «العنف هو الفعل الذي يمس كيان الإنسان ملحق بالغير الضرر المادي و الجسدي و النفسي و الفكري»² فيتمثل العنف في أيّ فعل أو عمل يلحق الأذى بالفرد سواء ماديًا، نفسيًا أو جسديًا «العنف ضدّ المرأة هو أيّ عنف يقوم به على أساس النوع أو الجنس وينتج عنه أذى أو معاناة للمرأة سواء من الناحية الجنسيّة أو النفسيّة بما في ذلك التّهديد بأفعال من هذا القبيل أو القهر أو الحرمان التّعسّفي من الحرّية سواء حدث ذلك في الحياة العامّة أو الخاصّة»³ تعتبر المرأة كائنا ضعيفا في المجتمع يمارس عليها العنف ويسبب لها الأذى والمعاناة، إضافة إلى التّهديد والحرمان الذي تعانیه في حياتها، وهذا ما يظهر جليًا في هذه الرواية.

قدّمت الرواية الكثير من صور العنف «ركلني برجله وضربني بقبضة يده، علا صوتي وجرى الجميع نحو الغرفة»⁴ فقام فؤاد بركل وضرب فاطمة في عدّة مرّات بسبب، أو بدون سبب، لأنّ مفهوم الرّجولة عنده الضّرب، والعنف، والشتم «تعيش وسط مدّ قويّ للتّيارات الإسلاميّة المتشدّدة التي لا ترى من المرأة سوى جارية لهم، تقدّم لهم الطّعام والمتعة، مع التّغيب الكامل لعقلها، فإذا هي حاولت إثبات وجودها والخروج إلى العمل لتدلي بدلوها وتؤدّي رسالتها في الحياة، سوف تواجه سهام الموت في طريقها»⁵ فالعقليات

¹ - شريف حبيلة: الرواية والعنف، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص239.

² - المرجع نفسه؛ ص11.

³ - مية الرجبي: النسوية مفاهيم وقضايا، ط1، الرحبة للنشر والتوزيع، سوريا، 2014، ص377.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص33.

⁵ - سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، د ط، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، 2008، ص70.

الإسلامية المتشدّدة تغيب عقل المرأة، وهي ناقصة عقل، فإذا أرادت أن تثبت وجودها وتخرج للعمل وجدت آلاف من العوائق في طريقها.

وضع المرأة المأساوي يدفع القارئ إلى التعاطف معها، والحزن إلى ما آلت إليه حالة كلّ النساء، فبسبب الضرب تظهر هوة عميقة بين الأخوة كفؤاد وفاطمة «جريت نحو الباب لأغادر لكنه لحقني، وشدّني من شعري، وجريت من فناء الدار إلى مدخل البيت فانهار عليّ باللكمات والزكّلات»¹ كانت فاطمة تحبّ الدّراسة، لكن القدر كان معاكسا لها، جرى بينهما شجار حيث شدّها من شعرها، وجرّها في فناء الدار إلى مدخل البيت، وهو يضربها بكلّ قوته «أغلقت الباب ودفعته، والدخان يخرج من أنفه، وأذنيه كالعادة شدّني من شعري ورماني على الأرض، وركلني عدّة مرّات قبل أن تسحبني أمي من بين رجليه»² ففي كلّ مرّة يقوم فؤاد الذي لديه مفهوم مفخّم للرجولة بالضرب.

يركل فؤاد أخته في كل مرّة «العنف الذكوري ضدّ المرأة يتشكّل من خلال تحوّل المرأة إلى ضحية أو كبش فداء في سياقات علاقتها بالرجل أبا وأخا وزوجا وابنا وقريبا وجارا»³ تعتبر المرأة كبش فداء وضحية معنّفة من قبل الرجل «في جزء من ثمانية سحب سكّينا من حيث لا أدري وهجم عليّ وشدّني من شعري وأسقطني أرضا، لم أفهم إن كان قد همّ فعلا بذبحي أم كان فقط يهدّد لأنّ سكّينه بقيت عالية ولم ينزلها عليّ»⁴ وصل الحال بفؤاد إلى أن رفع السكين في وجه أخته.

استغربت فاطمة من هذا الوضع، ولم تفهم إن كان حقا أراد ذبحها أم تهديدها فقط «صفعني بما يملك من قوّة ومن فرط ذهولي، وصدمتي أمسكت خدي، وبقيت صامتة

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص38.

² - المصدر نفسه؛ ص50.

³ - حسين مناصرة: قراءات في المنظور السردّي النسوي، ص1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013، ص8.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص57.

للحظات، وتضربني أيضا: فقال لها أفتلك إن شئت، كأنما فؤاد هو من يتكلم، أفتلك، نفس الكلمة ونفس اللهجة، هذا أيضا يخرج الدخان من أنفه، وأذنيه كتنين غاضب، لم أعرف إلى أي قدر هو عنيف»¹ كأنما قليل ما أصابها في بيت أبيها، من قبل فؤاد، لتصل إلى بيت زوجها، لتجد زوجها ناصر، صورة طبق الأصل لأخيها، ومن فرط ذهولها واستغرابها بقيت صامتة ممسكة خدّها «الزوج يعد من أكثر الشخصيات الذكورية عنفا تجاه الزوجة، إذ يغدو عنفه جريمة كبرى»² فالمرأة تنظر إلى عنف الزوج على أنه جريمة، إذ لا يحق له ضربها.

يثور جنونه ويضربها لأنفه الأسباب «ضربة قاضية، شدني من شعري، وصفعني عدّة مرّات مهدّدا، إياك أن تعيدي مرّة أخرى جملة أعود لأهلي، لأنّي سأقطع رأسك قطعا»³ كل ما طلبت منه الطلاق، يضربها أكثر من السابق، فكان مصيرها من هذا الزواج الموت البطيء، جراء العنف الجسدي والمعنوي، كما امتدّ عنفها إلى عنف ابنتها أمال، التي كانت فتاة طبق الأصل عن أمّها في خجلها، فتعنّف من قبل أبيها وأخيها محمد «بدأ العنف يمتدّ الآن مني إلى ابنتي أمال، فكم مرّة ضربها فاتح، أمّا محمّد فقد أصبح مع الأيام حقّا ابنهم لا ابني»⁴ فوصل بهم الحال إلى ضرب أمال خاصّة محمد الذي صار كظلّها لها، كأنما فؤاد هو الذي تمثّل لها، فما العنف إلّا أداة ووسيلة لهدم العلاقات بين أفراد الأسرة وتشتتّها.

2.2 المرأة والحب:

أغلب النصوص الروائيّة النسوية، تتضمّن في متنها قصصا عاطفية، وفي أغلبها تعيش البطلة قصّة حبّ، كما عاشتها البطلة فاطمة الزهراء في رواية تشرفت برحيلك «هناك

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص131.

² - حسين مناصرة: قراءات في المنظور السردى النسوي، ص10.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص134.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص 160.

شخص أحب أن أراه، تتسارع دقات قلبي كلما لمحته في الساحة، وهو يرمقني بنظراته في البداية كنت أتجاهله ثم أصبحت بدوري أرمقه وأراقبه»¹ في مرحلة الثانوية أحببت فاطمة الزهراء طارق، فكأما لمحته تزداد دقات قلبها، أصبحت هي بدورها ترمقه وتراقبه، وتبحث عنه إذا غاب عن نظرها «حقاً أحبه وأشتاق إليه، وليس بيننا أيّ كلام»² فكانت تحبه وتشتاق إليه وقلبا ينبض لرؤيته، ولم يجر بينهما أيّ لقاء أو كلام.

يختار القلب الحبيب فيرفرف بالسعادة ليعيش الحياة «ضوء الحياة كلها يختفي حين يختفي الحب»³ فالحياة تمارس بسعادة، إن عاش المرء حياة مليئة بالحب «ليس من الميسور تحقيق السعادة الإنسانية بدون حب، وأيّ حياة تخلو من الحب حياة فارغة جوفاء»⁴ إن الحياة التي غاب عنها الحب حياة عديمة الفائدة لا معنى لها.

سعت فاطمة لتحقيق السعادة من حبها، إلى أن القدر كان معاكسا لأحلامها «الحبّ الناضج الذي يعدّ أقوى وأعمى وأمتع ألوان الحبّ جميعا»⁵ فالحبّ الحقيقي حين يصل إلى ذروته يكون أجمل وأروع حب يمكن أن تعيشه المرأة، بالرغم من الظروف التي عاشتها البطلة وخاصة العشرية السوداء، التي هدّدت حياتها وحبها، فقد عاشت قصة حبّ رائعة إلاّ أنّها لم تكتمل بسبب الظروف المحيطة بها «ليس مريحا أبدا لامرأة أن تعيش الحبّ في مدينة يحوم فيها إخوانها، وأيّ إخوان سلفيون»⁶ فالمرأة ليس بمقدورها أن تعيش الحبّ ما دامت تعيش وسط سلطة إخوانها، فهي غير قادرة على أن تمارس حبها بكلّ حرية ما دام أخويها الإرهابيين يفتون ويحرمون كلّ شيء حتّى نعمة الحبّ.

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص14.

² - المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها.

³ - أنا دانييل، تر: كليرفهم: المرأة والحب، د ط، دار المعارف، القاهرة 1980، ص85.

⁴ - المرجع نفسه؛ الصفحة نفسها.

⁵ - المرجع نفسه؛ ص31.

⁶ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص41.

قمعت المرأة من جديد، وهي تمارس حبّها داخليًا في صمت، خلال العشرية السوداء «فالحب في ثقافتنا أخطر شيء يمكن الإقدام عليه»¹ يعد الحب في المجتمع الجزائري فضيحة أخلاقية، فلا يجب أن تُحبّ المرأة، و تُحبّ إلا إذا تزوّجت، وإلا ستكون عاهرة بدون حياء «لكن أين يمكن أن نلتقي في بلاد يعتبر فيها الحب جريمة الجرائم»² ينظرون إلى الحبّ على أنّه عار، وخزي وجريمة تمس المجتمع.

ترى فاطمة، وحببيها طارق للحب على أنّه نعمة من عند الخالق، خلقها بين الرّجل، والمرأة ليعيش حياة سعيدة، مليئة بالفرح والسّرور «إنّ أعظم، وأعمق انفعال يهزّ المشاعر، ويشيع الرّوح ممّا يمكن أن يدخل في خبرة أيّ إنسان، هو الحب»³ إنّ الإنسان بطبعه مليء بالأحاسيس، والمشاعر تسكن روحه، وتعيش في داخله لكنّ الحبّ، هو أجمل وأعظم وأعمق إحساس يشعر به المرء، نظرا لنقائه وصفائه.

يحضى الحبّ بمنزلة مرموقة، فهو بمثابة الحرّية التّفسية لها «الحقيقة الباقية فهي أنّه مهما يكن من شأن الصّورة التي تبدوا أمامنا، فإنّ الحبّ عنصر جوهري ولا يمكن الاستغناء عنه للحياة الإنسانية»⁴ رغم كلّ شيء يبقى الحبّ هو الأساس، وجوهر الحياة في نفوس البشرية جمعاء، لأنّ الحياة بدون حبّ لا قيمة لها «تعانقنا وغرقنا في ضمّة طويلة كم تمنّيت لو إنفردت به للأبد، كم اشتهيته كلّما إقترت مني، وكم إشتقت إليه وأنا معه فماذا لو ذهب»⁵ كانت فاطمة الزّهراء تلتقي بحبيبيها خلسة، وكلّ مرة تتمنّى أن يتوقّف الوقت وتتفرد به إلى الأبد.

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 42.

² - المصدر نفسه؛ ص 65.

³ - أنا ذنيال: المرأة والحب، ص 54.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص 85.

⁵ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 69.

تشتاق فاطمة لحبيبها وهو معها، وما أدراك إن كان بعيدا عنها «يجد إنسانا يحبه ويرعاه، إنسانا يضمّد جراح روحه فإنّه لا يشعر بأنّ حياته كانت ضياعا كاملا، فليس هناك بلسما للعواطف كالحنان والعزاء والمودة من إنسان محب»¹ إنّ الإنسان إذا صادف الحبّ في حياته، عاش سعيدا، وشعر بأنّ حياته ليست هباءً، فالحبيب عبارة عن بلسم يضمّد جراح الروح «آه كم أحبّك طارق، لكنّي لا أعرف كيف أقول ذلك، فكلمة أحبّك لا تكفي ولا تشفي»² تعتبر كلمة أحبّك كلمة بسيطة إلا أنّ معناها يحمل عدّة دلالات، فرغم أنّ فاطمة عاشقة إلا أنّ كلمة أحبّك لا تحمل كلّ الشوق والحب.

يعتبر الحبّ لبنة الحياة فبدونه تكون بدون طعم «لا أمل لأيّ كائن فردي وجد على وجه الأرض دون أن يكون بداخله شعور وإحساس، ومن لحم ودم وإلاّ الحبّ وجد بداخله، لأنّه هو الأساس في إختيار واقعه الذي يعيش الكائن الفردي في ظلّه»³ لا يوجد على وجه الأرض كائن خال من الحبّ، لأنّه أساس الوجود، فالحياة حبّ والحبّ حياة «من أجلك أموت، لو لم أرك اليوم لمت فعلا، جئت لأقول لك أنّي أحبّك، وأنّي أريد الذهاب معك»⁴ إنّ فاطمة مستعدّة لتضحّي بنفسها من أجل حبيبها، وتذهب معه حيث يكونان معا.

يعيش الإنسان الحبّ في حياته «لأنّ الحب ضرورة في حياة المرأة فإنّها لا تستطيع أن تعيش خارج إسواره، فالحب بالنسبة إليها هو أكبر من مجرد إحساس، فعبره تحقّق ذاتها وتستشعر كينونتها إنّه ينزل منزل المقدّس»⁵ المرأة غير قادرة على الاستغناء عن الحب، فتحسّ المرأة أنّها إنسان ذو قيمة عالية، وحرّة «ليس هناك سنّ يتوقّف فيها المرء،

¹ - انا دانييل: المرأة والحب، ص 89.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 114.

³ - باسمه كيال: سيكولوجيا المرأة، ط1، عز الدين للطباعة والنشر، لبنان 1986، ص 403.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 118.

⁵ - سعيدة بن بوزة: الهوية والإختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، ص 96.

أو ينبغي أن يتوقّف عن الحبّ»¹ فليس للحبّ سنّ يتوقّف عنده، رغم أنّ فاطمة تزوّجت إلاّ أنّ حبّها لم يتوقّف رغم السنّ «تعانقنا أجمل وأحلى عناق بعد تاريخ طويل من العشق والحنين، وعلى صدره شعرت بجمرة الشوق الملتهبة تحترق في قلبينا بعد طول فراق، دفعته من ذراعيه إلى الوراء، وتأمّلت وجهه مرّة أخرى غير مصدقة أنّي أراه، ثمّ سحبتة إليّ وعانقته من جديد»² إنّ الحبّ بعد الفراق يبقى مشتعلًا، رغم أنّهما تزوجا إلاّ أنّ العشق والحنين ضلّا، فتعانقا أحلى عناق، لتعيش الحبّ والحنان الذي حرمت منه طويلا.

3.2 المرأة والحجاب:

يعتبر الحجاب اللباس الشرعي الذي يُميّز المرأة المسلمة عن غيرها، فهي ترتديه بأمر من الله عزّوجل، ومن ثمّ فإنّ ارتدائه لا علاقة له بوضعية اجتماعية ولا بأخلاق المرأة، فهو عبارة عن سترة، مرتبط بقرّة الإيمان أو ضعفه، وإذا أردنا إسقاط هذه الحقيقة على رواية تشرفت برحيلك، نجده فرض وواجب التطبيق، مرتبط مباشرة برغبات شخصية، وأوضاع أمنية، وأشياء أخرى قد تبدوا باطنية، وهذا هو المرفوض في الأمر، لأنّ بين الحجاب الذي أمر به الله والحجاب الذي أمرت به فاطمة، هناك تضارب وتعارض.

تنظر فاطمة للحجاب على أنّه مساس لحيّتها «قلت لك تحجّبي ألا تفهمين ذلك»³ كان فؤاد يراقبها، ويأمرها أن تلبس الحجاب «إيه نعم، نعم تحجّبي واستري نفسك من اليوم لا خروج بلا حجاب!»⁴ ورشيد يوافق فؤاد، ويأمرانها بالتّحجّب، وإلاّ فلن تخرج من البيت «إياك أن تخرجي بدون خمار بعد اليوم»⁵ يهدّدها كل مرّة بعدم الخروج بدون الحجاب

¹ - أنادانيل: المرأة والحب، ص 21.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 243.

³ - المصدر نفسه؛ ص 38.

⁴ - المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها.

⁵ - المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها.

«قلت لها أن تتستر نفسها ستتجّب وإلا أقسم بالله تعالى أنها لن تضع رجلها خارج البيت بعد اليوم!»¹ فكان فؤاد يقسم بأن تتجّب، وإلا سيوقفها عن الدراسة «الاحتجاب والتستر داخل البيت وعدم الخروج إلا للضرورة»² يفرض علي المرأة التستر عند الخروج.

فرض الحجاب على كلّ النساء في العشرية الدموية، ولهذا فإنّ أغلبية النساء تحجّبن خوفاً من أزواجهنّ أو بأمر من ذويهنّ «أخبار خطف غير المحجّبات وقطع رؤوسهنّ وتعذيبهنّ ترعب النساء والأولياء، لذا بدأت موجة التّحجب تجتاح المدن الجزائرية»³ فالنساء يُؤمنن بالتّحجب خوفاً على حياتهنّ.

يحمي الحجاب المرأة والمجتمع، والدليل على تشريع الحجاب قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾⁴ إنّ الله عزّوجل أمر النساء أجمعين أن يلبسن الحجاب كي لا يصيبهن شر.

طلب منها أبوها أن تتجّب «أجل لقد تحجّبت فعلا، ذلك حفاظا على حياتي»⁵ لبست لبست الحجاب حفاظا على حياتها «ألبساني الحجاب والنّقاب والسّدل والسّتار ولا أدري ما أسماء تلك القطع التّابعة لكفني»⁶ ففي يوم زفافها ألبسوها الحجاب والنّقاب واعتبرته كفنها «أمرني بأن ألبس جلبابا أو حجابا ملتزما وطويلا وعريضا»⁷ طلب ناصر من فاطمة لبس الجلباب أو الحجاب ملتزم.

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 39.

² - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص 40.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 63.

⁴ - سورة الأحزاب: الآية 21، ص 426.

⁵ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 105.

⁶ - المصدر نفسه؛ ص 124.

⁷ - المصدر نفسه؛ ص 135.

تلبس حجابا وخمارا واحد «كنت ألبس حجابا مستطيلا وخمارا مربعا من لون واحد داكن وغلظ، أخفي وراءهما شيب شعري، ونهدي المبتور، ويطني المترهل، شعر رجلي، آثار الضرب، وعيوبا أخرى»¹ ترتدي حجابا يخفي جسدها وخمارا يغطي شعرها، أما أخت زوجها فتلبس الجلباب من أجل حرّيتها الشخصية «تلبس حجابا ونقابا وتخرج بحجّة أنّها تتعلّم الخياطة، وفي المساء تعود منتشية مورّدة الخدين»² تخرج حفيظة كلّ يوم بجلبابها لتذهب لعشاقها، ولتعود في المساء ببقع زرقاء لتغطّي جسدها.

تتجول بعض النساء كما يثأن، يلبسن الحجاب للحرية، وطرد سوء الظن بهن، وبدون خوف من معرفتهن «أية حرية تحظى بها حفيظة إن التقت بفتح عند باب كباريه لن يتعرف عليها فلا دليل يثبت من تكون»³ لو صادفها أخوها لن يتعرف عليها «فالحجاب من هذا المنظور هو شيء ثانوي مفرغ من كل قيمة دينية أو أخلاقية»⁴ فأصبح الحجاب مجرد وسيلة للحرية، لا لهدف شرعي، إنما لإخفاء الهوية، ولممارسة الفواحش بكل أريحية.

4.2 المرأة والزواج:

يعتبر الزواج علاقة إنسانية طبيعية تربط بين الرجل والمرأة، فيقال الزواج نصف الدين، فقد حثنا الدين عليه «الزواج رابطة قدسية، علاقة خالدة، صلة إلهية، ولا يتزوج اثنان إلاّ باسم الله وبإذن الله وأمام الله»⁵ الزواج علاقة تربط بين الذكر والأنثى، ففي الرواية أحببت فاطمة طارق بشغف، لكن لم تتزوجه «كم هو جميل أن تتزوج بمن أحببت بشغف، وتذكرت

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص230.

² - المصدر نفسه؛ ص142.

³ - المصدر نفسه ، ص198

⁴ - سعيدة بن بوزة: الهوية الإختلاف، ص222

⁵ - عادل صادق: الطلاق ليس حلا، د ط، دار أخبار اليوم، القاهرة 1993، ص14.

أنّ زواجي من طارق في الظرف الحالي ضرب من المستحيل»¹ كان هذا الحب مستحيلا، فطلب منها أبوها الزواج للخلاص من الوضع الذي هي فيه .

تتعرض فاطمة للتهديد من قبل أخويها «الزواج هو حلك الوحيد يجب أن تذهبي من هنا في أقرب وقت، فلا أحد يستطيع أن يحميك منهما سوى زوجك»² اعتقد أبوها أنّ زوجها سيخلصها ممّا هي عليه، وأنها ستعيش حياة سعيدة «لا أريد الزواج سأموت إن تزوجت هذا الرجل سأموت»³ فهي لا تتصور أبدا أن تتزوج بشاب وقلبا متعلق بحبيبها، وإن تزوجت فهي ترف إلى قبرها «أخذوني وأنا مجهشة بالبكاء، ولم يزغرد أحد من أهلي عند خروجي، فالجميع يعلم أنّي أزف إلى قبوري، إنّ بعض أنواع الزواج ليست سوى انتحار»⁴ في يوم زواجها بكت كثيرا لأنّه عبارة عن انتحار..

رُفّت بجلباب عوض الفستان الأبيض «عروس بجلباب أسود وحذاء أبيض وحاولت تصور شكل حياتي ابتداء من اليوم»⁵ تزوجت غصبا عنها بجلباب بعد أن شلّحوها من الفستان الأبيض، فعرفت أنّها ستعيش أسوء زواج «أنت زوجتي الآن ووحدني أقرّر مصيرك أفهمت»⁶ حرم عليها كل مصادر البهجة والجمال، الجميلة.

يضمن المتطرفون أن الزواج الذي فرضه الله على هذا الشكل، إلّا أنّ الله تعالى يقول ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾⁷ ومن هنا يظهر أنّ الزواج الذي أمر به الله يخالف تماما الزواج الذي يتكلم عنه الإرهاب، فالحياة

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص92.

² - المصدر نفسه؛ ص78.

³ - المصدر نفسه؛ ص115.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص124.

⁵ - المصدر نفسه؛ ص128.

⁶ - المصدر نفسه؛ ص134.

⁷ - سورة الروم: الآية 21، ص 407.

الزوجية قائمة على رباط المحبة والمودة والرحمة، وليس التجبر والعنف «إنّ إحدى دعائم الاستقرار الأساسية في الزواج هي أنّ الاحترام لا يستمر بدون زواج، والزواج لا يستمر بدون احترام، والاحترام هو وليد تلك المشاعر القدسية»¹ فبدون الاحترام لا يستمر الزواج، وإذا استمرّ سيستمرّ بصعوبة.

يعتبر زواج فاطمة كابوس، فعائلة زوجها عائلة بغيضة، أمّا زوجها فليس له أية مشاعر «بدأت أقرأ عندما صرخ في أدني: قلت لكي وقّعي وليس اقْرئي، بسرعة قرأت أهم ما فيها إنها وكالة باسمي، أصرّح فيها بأنّي قد وكلت زوجي لسحب أموالني»² ذات ليلة جاء ومعه ورقة، طالبا منها توقيعها، فأخذت الورقة فبدأت تقرأ ما جاء فيها فصرخ عليها وطلب منها التوقيع، وليس القراءة، وأرغمها على التوقيع لسحب أموالها، بحجة أنه ليس لديه الوقت لأخذها إلى مركز البريد، فكان المال مالها، يسحبه دون علمها.

يأخذ ناصر المال كله، ولا يعطي لها منه فلسا واحدا «إن كنت تريدين العمل فأغلقي فمك أحسن لك، أنت زوجتي ومالك هو مالي، وإذا لم يعجبك الأمر فلا عمل بعد الآن»³ ففي كلّ مرة تطلب منه بعض المال لشراء أشياء تلزمها، إلّا أنه يرفض ذلك ويهددها بإغلاق فمها، وإن لم يعجبها الأمر فلا عمل لها «النساء على الأزواج حقوقا يلزم حفظها ومراعاتها من حسن العشرة وأداء الخدمة وترك الأضرار»⁴ فمن واجب الزوج، أن بصون زوجته، ولا يسبب لها الأذى «بدأت أعي حجم المأساة التي سأعيشها في هذا الزواج، لكن ردي لم يكن سوى الصمت»⁵ كان يضربها، ويهينها ولا ترد عليه، وتبقى صامتة، فهي لم تتوقع أن هذا الزواج الذي كانت تحلم به «تنشأ المرأة على أن الزوج هو مصيرها الذي

¹ - عادل صادق: الطلاق ليس حلا، ص 15.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 137.

³ - المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها.

⁴ - عائشة تيمور: امرأة التأمل في الأمور، ط1، ملتقى المرأة والذّكر القاهرة 2002، ص 11.

⁵ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 138.

تتطّلع إليه، وأغلقت في وجهها أي فرصة أخرى للحصول على وضع مشرف في المجتمع عدا الزواج»¹ المرأة منذ ولادتها على علم أن مصيرها هو الزواج الواجب عليها.

ترغب الفتاة بالزواج في بعض الأحيان بكونه «هو المؤسسة التي يجتمع فيها الزوج والزوجة بارتباط خاص اجتماعي وشرعي لتأسيسه عائلة وصيانتها»² بعض الفتيات فتدخل هذه المؤسسة مرغمة، وأتته لا يحق لها إختيار شريك حياتها لأن هذا منافي لعادات المجتمع، وهذا ما حدث تماما مع فاطمة «إن الحياة الزوجية قائمة على التفاهم والحوار، جزء كبير من هذه الحياة، ولذلك نسبة القرآن على ذلك بقوله وعاشروهنّ بالمعروف، وهناك من الأزواج من يتفاهم مع زوجته من منطلق الدونية وإلغاء الهوية والكيان»³ فبدون الحوار بين الزوجين لا يوجد تفاهم، فالعديد من الأزواج يتكلمون مع زوجاتهم من منطلق الدونية، وعدم الاحترام.

ينظر الرجل للمرأة على أنها خلقت للجنس فقط، ولا تتعدى العلاقة بينهما هذه الحدود وهذا ما يسبب المرأة المعاناة «حياتي الآن كموتي، حياة بلا حياة.. أعيش مع زوج وأربعة أطفال في غرفة واحدة»⁴ حياة فاطمة عبارة عن مقبرة تعيش فيها، في غرفة واحدة مع أولادها، وزوج غير مكترث «توقفت متألمة زواجي الذي كان حلبة مصارعة، خسرت فيها نفسي، وحياتي، لا سكينه، ولا سكن»⁵ بعد طلاقها أدركت أنّ زواجها عبارة عن حلبة مصارعة، فكل يوم شجارات، حيث ذهبت صحتها وشبابها منه.

¹ - يمنى طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، ص 21.

² - هادي العلوي: فصول عن المرأة، ص 133.

³ - محمد عطية: الحب والزواج، ص 31، من موقع www.alsafwabooks.com

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 158.

⁵ - المصدر نفسه؛ ص 233.

5.2 المرأة والجنس/الجسد:

يعتبر جسد المرأة عورة لا يمكن التحدث عنه، باعتباره فضيحة في المجتمع الذكوري، الذي يرفض الحب، وما بالك الجنس والجسد «إذا كان الحديث عن الحب فضيحة، فإنّ الحديث عن الجسد والجسد، هو شكل من أشكال اختراق المحظور، خاصة إذا كان صاحب الطرح، هو المرأة التي تعدّ في حدّ ذاتها محور هذا الموضوع»¹ المجتمع يرفض الحديث عن فكرة الجنس خاصة إذا كان المتحدث هو المرأة، باعتبارها محور الجنس في حد ذاتها «لا نستطيع الحديث عن التجربة الأنثوية الخالصة بمعزل عن الجسد الأنثوي باعتباره مصدرا للكتابة الأنثوية، فالوعي الأنثوي بالحقائق حول جسد المرأة يدفع المرأة بالضرورة إلى أن تكتب عنه»² إن الحديث عن الجسد الأنثوية في جل النصوص الأدبية لا يمكنها الاستغناء عنه، باعتباره مصدرا للكتابة الأنثوية.

تجسد الجسد في رواية "تشرفت برحيلك" حين أصبح جسد فاطمة مستغلا من طرف زوجها ناصر، فقط لسد شهواته لا أكثر ولا أقل «يعرّيني يعتليني ثم يغتالني لا شيء سوى الوجد والقرف، حسبت الجنس أمتع من هذا لكن لا قبل ولا عناق، فقط يدخل ويخرج لدقائق معدودات، ثم ينبطح على ظهره ويشخر»³ فاطمة تشمئز من ممارسة الجنس مع ناصر، لأنّ لا يوجد أية إحساس بالحب والحنان «إن الحب هو الذي يجعل العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة تزدهر، وبدونه لا تكون أكثر من عملية إفراغ للتوتر الناتج عن الحاجة الجنسية لدى الطرفين»⁴ إن العلاقة الجنسية علاقة نابعة من الإحساس والحنان، فعند السلفيين لا يوجد إحساس بالحب.

¹ - سعيدة بن بوزة: الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، ص 98.

² - الخطاب النسائي في النقد والأدب، من موقع www.uop-edu.jo

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 129.

⁴ - باسمة كيال: سيكولوجية المرأة، د ط، مؤسسة عز الدين، بيروت 1986، ص 413.

ترضخ الزوجة مجبرة لما يطلبه منه زوجها «كالعادة راح يدخل ويخرج بلا قبلة ولا ضمة ولا لمسة»¹ فناصر عند مضاجعة فاطمة في فراشهما الزوجية، يهّم فقط بعملية الدّخول والخروج، يعرف فقط مكان واحد يلجأ إليه «قبل أن يخوض معتكك الجنس مع المرأة عليه أن يختار كلمات الحب والحنان والعطف ليقولها أثناء ممارسته الحب، دون أن يشير بصراحة إلى جمال ما يحدث بينهما [...] حتى تدوم العملية الجنسية أكبر وقت ممكن بينهما»² عند ممارسة الرجل الجنس مع زوجته، عليه أولاً أن يسمعها كلام الحب، لتحس بالطمأنينة المتعة الجنسية.

تتمنى فاطمة لو يكون الزواج على شكل آخر مما تعيشه «لم يبحث يوماً عن شعري أو نهدي أو خصري، مكان واحد فقط يبحث عنه في حلك اللّيل والأولاد نيام وربما! يدخل ويخرج ويدخل ويخرج»³ كل ليلة يمارس ناصر الجنس مع فاطمة، فقط يدخل ويخرج كثير هائج، وذلك يسبب لها الوجد، وكأنّه يقوم بعملية الحفر «هكذا يغدو الفعل الجنسي نوعاً من القهر، والامتهان للجسد الأنثوي وحتى في العلاقات الشرعية داخل مؤسسة الزواج، كثيراً ما تتحوّل هذه العملية إلى فعل رتيب يفتقد إلى معاني المتعة في بعدها الإنساني، وخاصة بالنسبة للمرأة، لأنّ ممارسة هذه العملية عادة، برغبة من الرّجل، الذي غالباً ما يمارس الجنس بكثير من الأنانية متجاهلاً الطرف الآخر»⁴ يستعمل الرجل جسد المرأة كلّما أراد وكما شاء، دون الإكتراث لرغبتها ومشاعرها، وهذا ما جعلها تمل وتكره العلاقة.

تعيش فاطمة على نفس الوتيرة، إنّه لا يعرف كيف يتعامل مع جسد زوجته «نهدي اللّذان كورهما بيديه العنيفتين في الأيام الأولى من زواجنا دون أن يعرف ماذا يفعل بهما

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص151.

² - باسمه كيال: سيكولوجية المرأة، ص410،

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص178.

⁴ - سعيدة بن بوزة: الهوية والإختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، ص101-102

كفا نهائياً عن البحث عنهما»¹ في البداية كان ناصر أثناء الجماع يلمس نهديهما، إلا أنه يتوقّف عن ذلك فجأة «يختلف الفعل الجنسي من إنسان لآخر، وليس ذلك بناء على آلة الفعل ذاته، بل بناء على اختلاف شدة الحساسية الجمالية ورهافة الشّعور، وإنّ العملية الجنسية المتقدّمة تختلف عن المعاشرة الجنسية الشائعة، حيث أنّ الأولى تعبير جمالي محتدم بالعشق، أمّا المعاشرة الجنسية فهي إشباع جنسي ميكانيكي وتخلص عاجل من ضيق داخلي»² تختلف العملية الجنسية من رجل لآخر، فهناك من يمارسه بلطف وحنان يتحسّس رغبة الطّرف الآخر في ذلك، والبعض الآخر يمارسها كالحيوان.

تصبح العلاقة باردة، ففاطمة تمل من مضاجعة ناصر لها، لأنّها تحسّ بالوجع والألم «بخجل قلت له أنّه عنيف جدّاً، وسريع جدّاً، لو أنه يحضنني أو يقبلني، أو يحاور جسدي قليلاً»³ تمنّت فاطمة لو أنّ ناصر يلامس جسدها ويشعر بها، ويعانقها ويقبلها قبل الشروع في العملية الجنسية «شعرت بأنّي لست سوى آلة لإنجاب الأطفال»⁴ تعتبر نفسها مجرد آلة للإنجاب «يضرّني في النّهار ويضاجعني في اللّيل باسم الحقوق الزّوجية»⁵ رغم أنّه يضرّها كلّ يوم، ولا يكثرث لمشاعرها «يضاجعني كلّ ليلة تقريباً وأنا مستسلمة له كحجّة لا حياة فيها»⁶ تسلّم له جسدها ليسدّ شهوته، وكأثّها جارية تلبّي رغبات سيّدتها كلّما ناداها في كل ليلة لا يمكنها الرّفص.

تتعرض بعض العلاقات الزوجية أثناء العلاقة بالإكراه «مما يجعل الزّوجة تنفر من هذه الممارسة، والتي تقوم بها مكرهة تحت طلب الزوج، والنتيجة، هي البرود العاطفي بين

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 140.

² - باسمه كيال: سيكولوجية المرأة، ص 414.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 140.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص 148.

⁵ - المصدر نفسه؛ ص 132.

⁶ - المصدر نفسه؛ ص 140.

الزَّوجين، والذي يؤدي غالباً إما الانفصال، أو الخيانة الزوجية»¹ إن العلاقة الجنسية بين فاطمة وناصر تتسم بالبرودة والتفور، ففاطمة تلبي فقط رغبة زوجها، وأنها تحس بالبرود اتجاهه، وهذا ما يؤدي إلى الخيانة والنفور.

6.2 المرأة والإنجاب:

تعتبر المرأة وسيلة للإنجاب، وحفظ النسل «الإنجاب هو الوظيفة التي ارتبطت عن قديم الزمان للمهمة الرئيسية للمرأة في الحياة ولا سبيل للإنجاب إلا إن تجذب الرجل تجذب الرجل ليها وتربطه بها»² فهو وظيفة تقوم به المرأة في حياتها، ومهمتها الرئيسية «إن عملية الإنجاب هي التي تقيد المرأة بالرجل، فالأبناء يجبرون كل طرف على التمسك بالآخر، إضافة إلى ذلك فإن المرأة تعوض نقصها وتهميشها بإنجاب الأبناء الذين قد يسعدونها مستقبلاً، فإنجاب الأبناء ضمان للبقاء، وطرد لشبح التطليق»³ فالمرأة تربط بالرجل إليها بالأولاد كي لا يطلقها «بعد أقل من سنة أنجبت ابنتي الأولى أمال والتي سميتها كذلك بحثاً عن شيء من الأمل، وبعد سنة أنجبت ابني محمداً، وبذلك بدأ فصل جديد من العذابات في حياتي»⁴ كل سنة تتجرب فاطمة لأنها لا تملك المال لتشتري دواء منع منع الحمل.

تتميز المرأة بكونها القادرة على الإنجاب «أساس بيولوجي يمثل خصوصية للمرأة ويؤدي تميزها عن الرجل خصوصياً في تفرداها العظيم بالقدرة على إنجاب الأطفال»⁵ يعتبر يعتبر أساس بيولوجي وهذا ما يميزها عن الرجل ويجعلها أرقى منه في قدرتها على إنجاب

¹ - سعيدة بن بوزة: الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، ص102.

² - أنا ذنيال: المرأة والحب، ص7.

³ - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص78.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص143.

⁵ - يمني طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، ص30.

الأطفال «تقليص وجود المرأة في الإنجاب، مؤكداً أن خضوعها للرجل ليس نتيجة لعرف، بل هو النظام الطبيعي والضروري للأشياء»¹ خضوع المرأة للرجل هو نظام طبيعي، وضروري.

تعبت فاطمة من الولادة ففي كل مرة تلد «إنجاب الأطفال بالرغم من أهميته القصوى للأطفال والمجتمع، ليس عند معظم الرجال والنساء الهدف الوحيد من الزواج نفسها»² إن أهمية الإنجاب في الأسرة والمجتمع كبيرة، فالمجتمع ينظر إلى أن إنجاب الذكور أفضل من إنجاب الإناث لأنهن يعتبرن مصيبة للأسرة «المصيبة كل المصيبة إذا أنجبت المرأة إناثاً، فعندئذٍ تصبح غير مرغوب فيها، إذا بشر الرجل وأهله بأنثى غضبوا وحملوا المرأة مسؤولية ما حدث»³ وكان النسل بيد المرأة إذا أنجبت ذكراً فهي مرغوبة فيها، وإذا أنجبت إناثاً حملوها المسؤولية.

كان إسلام آخر العنقود وبه انتهت الانوثة «كم عمر الأنوثة قصير تنتهي حياة المرأة، وحياة أعضائها عندما ينتهي دورها الاجتماعي، تزوجت وأنجبت، إذن انتهى كل شيء»⁴ إن حياة المرأة تنتهي بمجرد زواجها، وإنجابها، فأنوحتها تزول شيئاً فشيئاً، وهي غير مستوعبة مراحل حياتها، التي مرت كرمشة عين، فإنجابها المتكرر يفقدها طاقتها وقوتها الجسدية، إضافة إلى توترها الدائم، غير أنها أحبت أولادها وقدمت لهم كل ما تملك من حب وحنان.

7.2 المرأة وسرطان الثدي:

تتعرض المرأة في حياتها اليومية إلى عدّة أمراض تهلك صحتها، ونفسياتها، وقد يكون المرض مؤقتاً، أو دائماً، إذ يعتبر سرطان الثدي من بين الأمراض الخطيرة، التي تتعرض له

¹ - يمني طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، ص 19.

² - أنا دانييل: المرأة والحب، 102.

³ - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص 79.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 209.

النساء بكثرة «عبارة عن ورم يصيب أنسجة ويتواجد بالعادة في قنوات الحليب، وهذا الورم يصيب النساء بنسبة أكثر من إصابة الرجال به»¹ إن سرطان الثدي ورم تتعرض له النساء والرجال، لكن نجد النساء أكثر عرضة له من للرجال، فهو يتواجد في أنسجة الثدي.

نجد في رواية تشرفت برحيلك فاطمة أصيبت بهذا الورم الخبيث «شيء ما يتكور في صدري ويكبر ربما قلبي ليس بخير، أنا دائمة الشك بأن قلبي مريض لكن لا وقت لدي ولا مال لأقوم بفحص، من حين لآخر أشعر بوخز كضربة كهرباء خفيفة في الجهة اليسرى»² فاطمة دائما ما تحس أن شيء ما في صدرها يتكور ويكبر، ومن حين لآخر تأتيها ضربة كهربائية خفيفة «يتعين على هذه النساء أن يحرصن على الخضوع لفحص الثدي طوال حياتهن وخصوصا الصور الشعاعية للثدي بشكل منتظم»³ يتوجب على النساء أن يخضعن للفحص في أي وقت، وكلما سمحت لهن الفرصة لتجنب أي مرض قد يصيبهن «انتفخ وشدني فيه ألم رهيب»⁴ دائما ما تشعر فاطمة بألم في صدرها، إلا أن ذلك ازداد أكثر من قبل فثديها المترهل انتفخ على مما كان على طبيعته.

أخذ ناصر فاطمة إلى الطبيب وهو متذمر في كل مرة، إلى أن أصيبت بالسرطان «حين تشعر المرأة أنها في خطر كبير للإصابة بسرطان الثدي يجب عليها كخطوة أولى أن تقوم بزيارة عيادة مختصة»⁵ عندما تحسس المرأة بألم في ثديها، أو تشك ولو بنسبة أنها مريضة بسرطان الثدي، عليها أن تتوجه إلى عيادة مختصة، لتفحص نفسها من أي خطر يصيبها «يؤسفني سيدتي أن أخبرك بأن لديك ورما خبيثا أعني أنه سرطان!!! ما إن

¹ - هديل طالب: أسباب حدوث سرطان الثدي، 9:24، 2017-3-27 www.mawdoo3.com

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص181.

³ - مايك ديكسون، سرطان الثدي، تر: هنادي مزبردي، ط1، دار المؤلف، الرياض 2013، ص11

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص181.

⁵ - مايك ديكسون: سرطان الثدي، ص21.

سمعت كلمة سرطان أغمي علي وسقطت من فوق الكرسي»¹ لم تتحمل فاطمة صدمة مرضها عندما أخبرتها الطبيبة أنها مصابة بالسرطان فأغمي عليها وهذا ما زادها تأزم وألما. تظهر أعراض السرطان بسرعة «فقدت وزني وشعري، إصفررت وذبلت كورقة خريف، متّ وشبعت موتا، ومع ذلك ما زلت على قيد الحياة [...] من عطفة مرضية لأخرى اقضي الساعات الطويلة ممددة بين الآلات والآهات وبعد سنة تقريبا من العلاج الكيميائي الذي جاء متأخرا أجريت عملية لاستئصال الورم في مستشفى البليدة»² إن المرض جعل فاطمة تعيش في ألام «فقداني لشعري وحاجبي ورموشي لفترة بسبب العلاج الكيميائي»³ إن العلاج جعلها تفقد كل ملامحها الأنثوية.

ازداد حال فاطمة بعد علاجها الكيميائي، فكانت تعيش على جمرة من الألم والمعاناة وعاد الورم من جديد وتدهورت صحتها أكثر من ذي قبل «تدهورت صحتي من جديد بسبب عودة الورم المشؤوم والحل هذه المرة بتر الثدي المريض كاملا»⁴ وصلت فاطمة لحالة استئصال ثديها المريض كاملا «لخضوع لعملية جراحية لاستئصال كافة نسيج الثديين، ما يعني إزالة الثديين جراحيا»⁵ فقد لجأت فاطمة إلى المستشفى لإجراء العملية «وفي حال وجود السرطان في العقد اللمفاوية، يمكن استئصال العقد المتضررة وبواسطة العلاج بالأشعة الفعال في القضاء على الخلايا السرطانية»⁶ ينبغي على المرأة المتضررة بذلك المرض أن تستأصل كل الخلايا المتضررة للقضاء على هذا الأخير .

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص182.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص182.

³ - المصدر نفسه؛ ص189.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص197.

⁵ - مايك ديكسون: سرطان الثدي، ص22.

⁶ - المصدر نفسه؛ ص4.

أصبحت فاطمة تعيش بنهد واحد، وجسم محطم، تتألم نفسياً وجسدياً «في الأيام الأولى كنت موجوعة جداً لا يحتمل، ولولا الحقن المسكنة للألم لمتت من الوجع»¹ إن فاطمة غير قادرة على تحمل وجع العملية، لولا الحقن التي تخفف عن أوجاعها وآلامها لما تحملت ذلك، لكن وجعها الأكبر هو بتر نهدا الذي لا يستطيع أي شيء، أن يخفف ذلك الألم لا الحقن ولا المواساة «لا شيء يجرح أنوثة المرأة أكثر من فقدانها أحد نهديهما، من الصعب شرح علاقة المرأة بنهديهما فهما يحققان توازناً في جسدها وفي نفسيتهما، العيش بنهد واحد كالعيش برجل واحد»² فقدان الثدي من أكبر الجراح التي تتعرض لها فاطمة، فالعيش بثدي واحد يحطم نفسيتهما وجمالها، ويحدث خللاً في جسمها، فهي لم تتحمل فكرة العيش بنهد واحد لأن ذلك مروع ومؤلم.

مضت على العملية أيام وشهور، وعليها اللجوء لمصلحة طب السرطان، لتقوم بفحص نهدا الآخر خوفاً من انتقال المرض إليه «مر ما يقارب العامين على عملية بتر النهد ويجب أن أجري فحصاً للنهد المتبقي، فقد يحدث أن ينتقل المرض من ثدي إلى آخر»³ أجرت فحصاً للنهد المتبقي فقد يحدث أن ينتقل المرض إلى نهدا الآخر «إن النساء اللواتي يصبن بالسرطان في ثدي واحد عرضة للإصابة بالسرطان بالثدي الثاني أكثر من النساء اللواتي لم يصبن من قبل»⁴ المرأة المصابة بالسرطان في ثدي واحد، قد تنتقل إلى الثدي الآخر، فمرض السرطان مرض خبيث ومميت.

8.2 - المرأة والخيانة الزوجية:

يعتبر الزواج ظاهرة اجتماعية هامة لتكوين الأسرة والربط بين الرجل والمرأة للحفاظ على الجنس البشري، لكن قد تحدث بين الزوجين خلافات وخصومات تؤدي إلى تأزّم العلاقة

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 205.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 198.

³ - المصدر نفسه: ص 220.

⁴ - مايك ديكسون: سرطان الثدي، ص 11.

بينهما، وتؤدي إلى خيانة أحدهما للآخر لأسباب كثيرة ومتعددة «الخائن منحرف والمنحرف لا يحب»¹ الإنسان الخائن دائما ما تكون نظرة المجتمع إليه نظرة احتقار وخزي، يخون ناصر زوجته مع امرأة أخرى، وهي لا علم لها بأي شيء «ناصر يستعيد شبابه يوما بعد يوم، اشترى عدة بدلات جديدة، وربطات عنق وأحذية، وعطر من ماركة عالمية، لحيته التي هذبها في السنوات الأخيرة كلية الآن، وترك بعض الشوارب الخفيفة فقط، ساعة ضخمة، وهاتف محمول من آخر طراز»² بدأ ناصر يتغير، في كل شيء حتى في لباسه.

أصبح يرتدي بدلات بدلا من القميص «يقف أمام المرأة طويلا قبل الخروج ويعود متأخرا في المساء، يبدو بخير بألف خير هو يزداد شبابا وأنا أزداد شيبا»³ من غير عادات ناصر أن يتأخر في العودة إلى البيت، وأن يهتم بمظهره، فكل يوم يزداد شبابا وفاطمة التهم الشيب رأسها وكأنها هي الأكبر منه سنًا

يقضي ناصر معظم الوقت مع عشيقته «أعرف بأنّ لديه عشيقة، فكم جاءتني الأخبار من المعلّمات والجارّات أنّه شوهد عدّة مرّات مع فتاة في سيارته»⁴ أنّ الأخبار تصل فاطمة من طرف المعلّمات والجارّات بخيانة ناصر لها مع امرأة أخرى «تحاول أن تخطف زوجك أو تغري حبيبك، قد تكون هناك امرأة ترى أنّها أكثر منك جدارة وأنّها تستحقّ رجلك»⁵ فالعشيقة دائما ما تحاول إبعاد الرجل عن عائلته، وعن زوجته ليصبح غير مهتمّ بها «أصبح لا يشعر بأيّة جاذبية نحو زوجته الحالية»⁶ كانت فاطمة لا تحظى بأي اهتمام من زوجها. زوجها.

¹ - عادل صادق: الحب والغيرة، ط1، دار الشروق، القاهرة 1993، ص35-36.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص188-189.

³ - المصدر نفسه؛ ص189.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص189.

⁵ - عادل صادق: الحب والغيرة، ص35.

⁶ - أنا دانيال: المرأة والحب، ص168،

أصبح يهتم كثيرا بعشيقته «اسمها نجاة عمرها ثمانية وعشرون سنة، موظفة بمركز البريد ليست جميلة فهي لا تشبه شيئا، لكنّها تعرف جيّدا ما تريد، لن تمنحه دينارا من مالها أبدا، بل هي من تلتهم ماله التهاما تحب المطاعم الفخمة والهدايا الفخمة والسيارات الفخمة»¹ نجاة عشيقة ناصر، تتمتع بأموال فاطمة التي لم تتمتع بهم هي وأولادها.

تحدث خيانة الرجل لزوجته غالبا بعد عشرة طويلة بينهما، وخاصة بعد كبرهما «بذهاب العمر بالنسبة للمرأة يعني عدم الرغبة فيها، ويؤدي هذا إلى البحث عن واحدة أخرى، وعندئذ تتعرض الأولى لخطر التّطليق»² عند كبر المرأة تتعرض لظاهرة الخيانة من قبل الزوج، كما حدث مع فاطمة الزهراء، فناصر لجأ إلى امرأة أخرى، بعدما أصبحت مريضة، ولا يكثرث لأمرها «منذ زواجنا لم ينم خارج البيت قط، وفي السنوات الأخيرة فعل ذلك عدّة مرّات»³ كان ناصر يبيت خارج البيت في مرّات عدّة رغم أنّه لم يفعل ذلك من قبل، ويتحوّل إلى شاب أكثر فأكثر «ناصر يزداد شبابا أكثر يوما بعد يوم ذقن مخلوق، عطر، ساعة فخمة، حذاء لماع، ربطة وآخر خرجاته، صبغة شعر»⁴ كل يوم يزداد ناصر تأنقا وشبابا ويهتم كثيرا بمظهره، حتى وصل به الأمر إلى أن صبغ شعره، ليبدووا بأحسن مظهر.

بقي ناصر مهتما بعشيقته وقرّر الزواج منها «فعشيقته تضغط عليه ليحسم الأمور، وأنا لا امت ولا أمضيت له ليتزوج»⁵ ناصر تائه بين أمرين، أمر عشيقته التي تلحّ عليه أن أن يتزوجها، وفاطمة التي لا ترغب أن تمضي له ليتزوج «حضّر لكلّ شيء مسبقا: الوثيقة، الزوجة، الشّقة... كل شيء جاهز، واضح أنّه رتبّ كل الأمور، وأنّ هذه الورقة آخر

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 190.

² - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص 101.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 194.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص 220.

⁵ - المصدر نفسه؛ ص 218.

إجراء»¹ رتبّ أمره كلّها وتلك الورقة تكون آخر إجراء له «فالرجل ينشئ علاقات مع نساء كثيرات غير زوجته، وفي أكثر الأحيان يشعر بقرارة ذاته يحبّ فتاة ما، أو امرأة معيّنة أقام معها علاقة أكثر من زوجته»² ناصر يحب عشيقته ويهتم بسعادتها وراحتها فاشترى لها شقة لكي تسكن فيها معه.

تعيش فاطمة ذليلة على خلاف نجاة التي كان لها بيتا لوحدها، ومال تتمتع به وحدها «عشيقة محقّة لم ترض بنصف قسمة ونصف بيت أو نصف أثاث أو نصف مشاعر، سيحك كل شيء كما تريد من جيبه ويزيد، فهي لن تقبل الذل ولن تتنازل عن شيء»³ لن تقبل الزوجة الثانية أن تعيش كما عاشت الزوجة الأولى، فهي ترغب بحياة حسب إرادتها وأن يكون ناصر خادما مطيعا لها.

9.2 - المرأة والطلاق:

إنّ الطلاق من أكثر المشاكل انتشارا، وهو ظاهرة اجتماعية تسبب في تفكك الأسرة وضياع الأطفال، ويحدث بعد استحالة الحياة الزوجية «إن لم تكن تلك الطلاق بين الرجل والمرأة التي لا تسمح بالعيش المشترك، وتجعل الطلاق بالرغم من مساوئه أفضل من الحياة الزوجية»⁴ إنّ العلاقة الزوجية القائمة على عدم التفاهم والخصام بين الرجل وزوجته تجعل حياتهما لا تحتل، وبالتالي قد يصل الأمر بهما إلى الطلاق «تمنح الرجل حق الطلاق دون إيداء الأسباب»⁵ إنّ الرجل لديه الحقوق في طلاق زوجته في أيّ وقت ومتى

¹ - المصدر نفسه؛ ص 216

² - باسمة كيال: سيكولوجية المرأة، ص 410.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 224

⁴ - بوعلي ياسين: أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي، دط، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا 2018، ص 176.

⁵ - نوال السعداوي: الوجه العاري للمرأة العربية، دط مؤسسة هنداوي سي أي سي، القاهرة 2017، ص 45.

أراد «كان الرجل يطلق إمرأته في أيّ وقت شاء»¹ ففي الرواية يظهر استحالة الحياة الزوجية بارزا بشكل كبير بسبب العنف الجسدي والمعنوي الذي تعيشه.

أصبحت فاطمة غير قادرة على تحمل نمط عيشها «ما إن سمع الكلمة الأخيرة حتّى جنّ جنونه وسحب الحزام الجلدي من سرواله وبدأ يضربني به: أعيدي ما قلت! أطلقك، طبعاً هذا ما تريدينه!»² كل ما يسمع ناصر كلمة الطلاق يثور غضباً، ويضرب فاطمة بسبب طلبها هذا «قد لا يطلقها أبداً عناداً وتجراً واستغلالاً»³ ناصر يستغل فاطمة لخدمته فقط ولهذا يرفض طلب الطلاق لأنّه بحاجة إلى مالها.

عاشت فاطمة مقهورة ومستلبة ومعنفة، وفي كلّ مرّة تفكر في الطلاق، إلّا أنّ المجتمع لا يتقبل فكرة رجوع البنت إلى بيت أهلها، لأنّها تجلب لهم العار والفضيحة «أتعبتني أمي بهذا الموضوع من فرط خوفها أن أطلق فعلاً، ففي نظرها لا شيء أسوأ من الطلاق بالنسبة للمرأة ولو كانت معنفة»⁴ تنتظر الأمّهات إلى أن تطلق بناتهنّ عيب ولا شيء أسوأ منه «إنّ الخوف من الطلاق يشوّه شخصية المرأة وعقلها»⁵ ففكرة الطلاق تسيء للمرأة وتضعف شخصيتها «لم أتركه عندما كنت بدون أولاد، والآن أتركه وأنا بأربعة أطفال، هم ما حقّقت في حياتي إلّا أظنّني قادرة على ذلك»⁶ فكرة أربعة أولاد ترهقها، وهي غير قادرة على التخلّي عنهم، فهم كل ما حقّقت من زواجها وحياتها، وبالتالي تصبر من أجل أولادها.

يعتبر الطلاق الحل الوحيد عندما تكون الأسرة محطمة «الطلاق الذي هو محنة ينكسر لها القلب إذا وقع في أيّة مرحلة من العمر يصبح موتاً حياً، إذا وقع بعد سنوات

¹ - المرجع نفس؛ ص 40

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 159.

³ - نوال السعداوي: الوجه العاري للمرأة العربية، ص 149.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 156.

⁵ - بنينة شعبان، 100 عام من الرواية النسائية العبية، ص 40.

⁶ - المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها.

عدّة من الزّواج، لأنّه عندئذ لا يكون مجرد انفصال شخص عن شخص آخر ولكنّه ينطوي على تحطيم كيان قام على مدى العمر بأكمله»¹ يكون الطلاق مصيبة توجّع القلب وتحطّم الأسرة، ففاطمة استغرق زواجها ثمانية عشر سنة انتهى في رمشة عين «أنت من سترتني ولست أنا من سترك بدءا من هذه اللّحظة أنت طالق! طالق! طالق!»² وأخيرا تحصلت فاطمة على ما كانت تبحث عنه منذ زمن، فالطلاق أريح لها من حياة تعيسة «الطلاق هو أقهر الطرق إلى تحرير المرأة من معاشرة زوج يؤذيها ويضربها»³ يعتبر الطلاق أحسن طريقة لتخلّص المرأة من رجل عنيف، متسلّط ومستغل.

أصبحت فاطمة مطلّقة «لو أنّي طلبت الطلاق عندما ضربني أوّل مرّة أو عندما أخذ منّي دفتر شيكاتي، أو عندما أجهض ما في بطني لو أنّي تركته بعد عام واحد، بعد طفل واحد، بعد عامين، بعد طفلين، لو أنّ لم أكن غبية وآمنت بقوانين السّتر والعيب والفضيحة والسّترّة الزّوجية»⁴ تحصّرت فاطمة إن لم تطلب هي أوّلا، حين مورس عليها شتى أنواع العنف، وباتت صامتة، إذ نجم عن صمتها أن أخذ منها دفتر الشيكات، إضافة إلى إجهاضها، وعدّة من الأمراض.

3. المبحث الثالث: التطرف الديني في المجتمع الجزائري:

إنّ فترة العشرية السّوداء من أصعب الفترات التي شهدتها المجتمع الجزائري في مراحل تاريخه، حيث كثر فيها الإرهاب والمتطرفين المدّعين بالتدين، فعاشوا في المجتمع فسادا خاصة عقول الشباب، إذ تغيّروا في سلوكياتهم وتصرفاتهم وحتّى في لباسهم، وأصبح كلّ فرد يفتي في أمور الدّين حسب تأويلاته، وفهمه الخاص « أخذوا يؤوّلون الكتاب والسنة

¹ - أنا دانيال المرأة والحب، ص22.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص222.

³ - حسين مناصرة: قراءات في المنظور السردى النسوي، ص68.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص224.

والأحاديث بتأويلات، استنبطوا منها أدلة على فساد المذاهب العلمية وحملوا الناس على أن يسيئوا الظن بها»¹ المتطرفون يفتون في الكتاب والسنة حسب تفسيراتهم الخاصة، وهم لا يفقهون فيه شيء، وانعكس ذلك سلبا على الفرد والمجتمع، وفي رواية تشرفت برحيلك نجد هذه الظاهرة سكنت البيوت الجزائرية.

انخرط الشباب في ذلك التيار «كنا نعيش في أمان قبل أن ينخرط شبابنا في موجة التطرف ويفسدوا علينا العادات الجميلة»² إن موجة التطرف تتغلغل في عقول الشباب، وكل شيء يتغير فيهم، وأصبحت وجوههم مليئة باللحية الطويلة، وتخلوا عن كل ما يميز العادات والتقاليد في مجتمعنا «تغيرت ملامح رشيد تدريجيا بعد أن أطل لحيته هو الآخر، وتختلف عن سروال الجينز كما فعل فؤاد، ليلبسا هذا السروال الذي لم نرى مثله من قبل، لا هو طويل ولا قصير، لا من الصوف ولا من الحرير، سروال يتدفق في نصف الساق ومن فوقه يلبسان قميصان عريضا و قصيرا»³ أصبحت تصرفات رشيد وفؤاد تتغير شيئا فشيئا، تخليا عن سروال الجينز، وأصبح وجهيهما مشعران بلحية طويلة موحشة.

أصبح الكل يفتي فيما لا علم به «يحلل و يحرم كما يشاء مقحما الله في كل شيء، وهو ضئيل المعرفة بالدين! و كذلك كان رشيد»⁴ فؤاد يفتي في كل شيء رغم قلة معرفته بالدين، وكذلك كان أخاه رشيد كان يفتي في كل الأمور وأصبحا سلفيان بين ليلة وضحاها، وهذا التغيير ألحقه رشيد لزوجته أيضا حيث أنه «يفتي في كل شيء اشترى لزوجته جلبابا

¹-قاسم أمين: المرأة الجديدة، ص166 www.kotobarabia.com

²- فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص7

³- المصدر نفسه؛ ص10

⁴-المصدر نفسه؛ ص27

ونقابا مع أنها لم تكن محجبة قبل أن يصبح سلفيا»¹ اشترى رشيد جلبابا ونقابا لزوجته، وهو اللباس الشرعي عند السلفيين، وكان يفتي ويحلل في أمور الدين حسب فهمه وتأويلاته.

وصل المد السلفي إلى زوجة رشيد «أصبحت هي أيضا مفتية! بعد عشية و ضحاها يتحول الأشخاص عندنا إلى فقهاء! يتحول من نقيض إلى نقيض، يتكلمون عن الله كما لو كانوا لا يعرفونه من قبل وقد اكتشفوه فجأة!»² بدء التغيير يحدث في البيت، بدءا بالتغيرات الطارئة على فؤاد ورشيد فأصبحت يدعيان الإسلام وهما لا يفقهان فيه شيء، ثم إلى زوجة رشيد التي هي بدورها أصبحت مثلها فتفتي في كل شيء، ويذكرون الله عزوجل في كل أمر كأنهم لا يعرفونه من قبل.

أصبحت الحياة في بيت فاطمة شبه منعدمة، بعدما أصبح كل شيء حرام، حسب فتاوى أخويها «وقد جعلنا حياتنا لا تطاق فالراديو حرام، التلفزيون حرام والضحك حرام، وكل شيء حرام قريبا سيقولان الحياة حرام وساعتها سننتحر جميعا والسلام!»³ التنازع، الراديو، الفرح كلها محرمة في البيت، لأن ذلك بالنسبة للمتطرفين من المحرمات ولا يجوز ذلك، وجعلوا الحياة مملّة لا طعم لها، والفتاوى الباطلة المزيفة أفسدت كل شيء في المجتمع.

يفرض المتطرفين مذهبهم على المجتمع عامة، وعلى المرأة خاصة، يجبرونها على التستر في البيت، ولبس النقاب والجلباب، وعدم مخالطة الرجال «كثير من العائلات لا تقبل المرأة يد الرجل عند السلام عليه ولا من الأدب أن تجلس النساء مع الرجال، ولا من الأدب أن يأكلن معهم»⁴ إنّ بعض العائلات يمنع نساءهم من مخالطة الرجال، والجلوس معهم، وعدم كشف وجوههنّ أمامهم، ويتوجب عليهنّ ارتداء النقاب والجلباب «ومنع النساء من

¹ - المصدر نفسه؛ ص40

² - المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص76

⁴ - قاسم أمين: المرأة الجديدة، ص41.

كشف وجوههنّ لأعين الرجال منعاً مطلقاً»¹ لا يتوجب على المرأة بإظهار وجهها أمام أجنبيّ، وعدم الخروج من البيت، إلّا وهي مرتدية الجلباب، أو النقاب «أدعياء الفقه الذين لا شغل لهم في هذه الأيام إلّا الصّياح بوجوب النقاب»² المتطرفون المدّعين بالتّدين يفرضون على النّساء بارتداء النقاب، وهو اللباس الشّرعي، والرّسمي لهن، حتّى في الأعراس إذ يتوجب على العروس أن تزف بالنقاب عوض من الفستان الأبيض.

حرم المتطرفين كل شيء، الموسيقى والزغاريد لأن ذلك حرام «طبعاً لن تكون موسيقى فهذا حرام حسب الفتوى التي أفسدت على الجزائريين كل الأعراس والأفراح»³ إن فتاوى السلفيين نزعت كل ما له علاقة بالبهجة والفرح، كل شيء عندهم حرام وغير مرغوب فيه «ويرفض عامة المتطرفين في حفلاتهم كل ما يشيع البهجة على الحضور من الغناء والموسيقى، والتقاط الصور التذكارية، وجلوس العروسين جنباً إلى جنب»⁴ تعتبر الموسيقى والغناء ممنوعة في أعراس السلفيين، لأنّه منافي لمذهبهم، كل هذه الفتاوى المزيفة فسدت المجتمع والأسر، كل يفتي حسب ما يخدم مصلحته.

تعيش فاطمة وسط بيئة من المتطرفين، فهي لم تسلم من أخويها السلفيين لتذهب إلى بيتها الزوجي، لتجد سلفيين آخرين فاتح وناصر وهما أيضاً يطلان، وبحرمان في كل شيء، حتى في أتفه الأمور «صوت فاتح يهزّ الجدران هذا حلال وهذا حرام، طوال النهار، وهو يفتي ويملي الأوامر على الجميع»⁵ فاتح لا عمل له سوى أنّه يفتي ويحلّل ويحرّم بأعلى صوته، ويتلى الأوامر على الجميع، وكلّ شيء في البيت ممنوع، واحدة، «فالسروال ممنوع والكعب ممنوع، والعطر والكحل ممنوع والمكياج ممنوع كلّ شيء قد يشي بجمالي أنوثتي

¹ - المرجع نفسه: ص43

² - محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، ط1، دار الشروق، القاهرة 1967، ص51.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص121

⁴ - صلاح الصاوي: التطرف الديني الرأي الآخر، ص181

⁵ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص130

ممنوع»¹ كل ما تتمتع به المرأة ممنوع، عند فاطمة فالزينة والتبرج حرام، وكل شيء يظهر جمال المرأة حرام، حتى السروال ممنوع، في البيت أو خارجه، وعليها التستر وراء النقاب والجلباب.

حرم على المرأة أن تكشف أمام أهل البيت «تذكرني أنك في بيت إمام وبيت رجال، لا تنزعي الخمار أبدا والبسي فساتين طويلة الأكمام وإياك من بيجامات السروال، الكحل والزينة لزوجك فقط وفي غرفتك فقط، فلا تخرجي بهما أبدا لا تسلمي على أحد من الرجال من غير المحارم ولا خروج من البيت إلا مع زوجك»² أم ناصر هي أيضا تمنع فاطمة من الزينة، وارتداء السروال، في البيت لأنها تتواجد في بيت فيها إمام، ورجال سلفيون، وهي مكلفة بغطاء شعرها وعدم الخروج من البيت إلا مع زوجها، فالمتطرفون «عندهم من الواجب عليهم أن يسجنوا نساءهم، وألا يسمحوا لهن بالخروج إلا لزيارة الأقارب في العيدين، الأفضل ألا تخرج من بيتها في جميع الأحوال»³ لا يسمح للمرأة من الخروج من البيت، إلا في المناسبات أو عند الضرورة مادامت تحت سيطرة الرجل.

يشترط من المرأة بالتحجب والتستر داخل وخارج البيت، ويمنعها من الخروج إلا إذا لزم ذلك، وعدم مخالطة الرجال أو التحدث إليهم. والحياة مع السلفيين لا تطاق ولا تحتل، «لعنت دائما التطرف و المتطرفين، وكرهت قدرتي الذي وضعني بين أيديهم، ولم أعلم أنني سألد واحدا منهم! تلك كانت الضربة الأولى لقلبي»⁴ فاطمة ولسوء حظها وقدرها ورغم أنها كرهت التطرف والمتطرفين إلا أن ابنها محمد متطرف إلى حد بعيد وهذا ما زادها تدمرا

¹ - المصدر نفسه؛ ص 135

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 129

³ - قاسم أمين: المرأة الجديدة، ص 42

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 218

وتحصراً «محمد نسخة عن عمه لحية موحشة قميص قصير فتاوى في كل شيء»¹ محمد صورة طبق الأصل عن فاتح، فهو أيضا يرتدي قميصا قصيرا ولحية موحشة.

يفتي في كل شيء رغم صغر سنّه، ففتاوى فاتح لا تكاد تنتهي كل يوم على نفس الوتيرة صباحا ومساء «فتاوى فاتح وناصر لا تنتهي يحيكان الدين على مقاسيهما تماما، لا شيء يحلو لهما الحديث عنه أكثر من النساء! يكرران دائما نفس الجمل من نوع: "الرجال قوامون على النساء"-وانكحوا ما طاب لكم من النساء»² إنّ فاتح وناصر يفتيان في أمور الدين حسب فهمهما الخاص وحسب ما يخدم مصالحهما، حيث جعل المرأة سلعة «وهو ما قامت به بعض الجماعات نتيجة للتعصب الديني، الناتج عن الفهم الشخصي للنص الديني، إذ تحتكر فئة ما تأويله، وفهمه الخاص، وبذلك باحتكار المعرفة بالدين، وإنكارها عن الغير، ويكون تأويلها للنص وفق منطق يخدم أهدافه»³ إنّ فتاوى شيخو الدين، يفسرون النص الديني حسب تأويلاتهم، فهم لا يفقهون فيه شيء.

يحلل المتطرفون ما يخدم مصالحهم وأهدافهم الخاصة، ويفرضون سيطرتهم على المرأة، وجعلوها تتستر وراء النقاب، والجلباب، «كلهم يرون أنّ منع المرأة من كشف وجهها ومن الخروج من بيتها، ومزاولة أعمال الرجال والاختلاط بهم»⁴ حرّموا على المرأة الخروج من البيت إلا مع المحارم «لغنت كل الفتاوى التي سمعتها وصدقته بأنّ اختلاط رجل بامرأة حرام لأنّ الشيطان سيكون ثالثهما، وأنّ العناق حرام، والتقبيل حرام، والحب حرام وكلّ العواطف الإنسانية الجميلة حرام، إنهم لا يستوعبون أبد بأنّ العلاقة بين الرجل والمرأة لها ألف شكل وشكل للوجود»⁵ فاطمة ضد الفتاوى التي تقول بأنّ اختلاط امرأة برجل يكون

¹ - المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها

² - المصدر نفسه؛ ص 166

³ - شريف حبيبة : الرواية والعنف ، ط1، عالم الكتب، الأردن 2010، ص 14

⁴ - قاسم أمين: المرأة الجديدة: ص 101

⁵ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 203

الشيطان ثالثهما، وعليها التمسك بشرعهم، فكلّ العواطف الإنسانية حرام كالحب والتّقبيل، وأنّ العلاقات القائمة بين الرجل والمرأة تختلف من علاقة لأخرى، إنّ هذا النّيار السّلفي والتّعصّبي غزا المجتمع الجزائري وحطّم كيانه، وسعى جاهدا للتّضييق على حريّة المرأة، وهذا المنهج اتّخذ موقفا متشدّدا عن طريق التّحليل والتّحريم، والتّفسير الخاطئ للنّصوص الدّينية وفق ما يخدم مصالحهم وأهدافهم الخاصة.

الفصل الثاني

1-المبحث الأول: أنواع صور المرأة في الرواية:

تعتبر المرأة لبنة المجتمع، فهي تقوم بعدة مقاومات من أجل الحفاظ على اسمها الذي عمل الرجل على إلغائه، فما كان عليها إلا أن سعت بكل الوسائل الدفاعية لإبراز نفسها، ومحاربة المجتمع الذكوري أثناء العشرية السوداء، الذي جعل المرأة على هامش الثقافة.

1-1-صورة المرأة المقاومة، المكافحة:

مرّت الجزائر خلال سنوات التسعينات، بمرحلة جدّ صعبة، خاصّة على النساء اللواتي قمن واستضعفن، من قبل المجتمع الذكوري المستبد، تحت اسم الدين المخالف تماما لمقتضيات الشريعة الإسلامية، من أجل تقييد المرأة واستبدالها، بإلزامها لبس الحجاب وطاعة الرجل طاعة كاملة، ما سمح له بفرض نفسه عليها، واستضعافها بتعنيفها لفضيّا، معنويًا وجسديًا، وما كان على المرأة إلا أن تقاوم وتكافح، لإسترجاع كرامتها المستلبة منها.

تصوّر رواية "تشرفت برحيلك" نموذج عن المرأة المقاومة، التي لا ترضى بالذلّ والقهر كالبطلة فاطمة الزهراء، وصديقتها سعاد، ورئيسة الجمعية كريمة، هؤلاء النسوة دافعن عن حقوقهنّ المأخوذة «إنّ المرأة المقاومة في الجزائر. هي باستمرار في مواجهة الصعوبات والعراقيل، كونها تنتمي إلى مجتمع محافظ، يربّي على خضوع المرأة للرجل وهذا جعل المرأة ضحية مجتمعا»¹ فكون المرأة في الجزائر، مقيدة من حيث العادات والتقاليد، التي جعلت من المرأة ضحية، وفريسة في يد المجتمع والرجل خاصة في فترة العشريّة السوداء.

إرتكب على المرأة، أبشع وأفزع الجرائم الإنسانية، بإلغاء إنسانيتها، وسلب حريتها «يحكم على المرأة أن تتسلّح بشتى الأسلحة لتحطم جدار الصمت، وتقاوم التهميش وتعلن

¹ - فريدة شلوف: المرأة المقاولة في الجزائر، دراسة سوسيولوجية، مذكرة ماستر، قسنطينة 2008-2009.

بأعلى صوتها: إن الإبداع والثقافة حقل للجميع تتلاقى فيه الأصوات وتتفاعل»¹ فحتم على المرأة المقاومة إسترجاع حقها المسلوب منها بصوت مرتفع، لتعلن إستقلاليتها، وتظهر شخصيتها في المجتمع.

كانت فاطمة تقاوم، من أجل دراستها، فهي تحب الدراسة والكتابة «سأعيد البكالوريا العام المقبل مهما حصل»² أجرت إمتحان البكالوريا ورسبت فيه، فمنعها أخوها فؤاد من إعادة السنة، إلا أنها رفضت «في بداية شهر سبتمبر حضرت نفسي للمواجهة، عليّ التسجيل لإعادة السنة»³ فيوصول شهر سبتمبر قرّرت أن تواجه وتقاوم من أجل مواصلة دراستها والإلتحاق بالجامعة «قرّرت الخروج للمواجهة، حملت المحفظة ووقفت في منتصف الرّواق»⁴ كان حلمها الدراسة فكيف لها أن تستسلم، وتبقى في البيت بدونها.

مرّت الجزائر بعدّة أزمات، وهذا ما جعل في تخلي معظم النساء، عن مشاريعهنّ وطموحاتهنّ حفاظا على أرواحهنّ وأرواح عائلتهنّ، أمّا الأخريات فكنّ خلاف هذا «تفاوتت مقاومة الشخصيات النسوية المثقفة للشّروط الإجتماعي الذي فرض عليها شخصية أخرى، فثمة شخصيات تحدّت الظروف التي وضعت فيها، ونجحت في تجاوزها، وحققت وجودها»⁵ فالنساء منهنّ من إستسلمن للظروف التي سيطرت على المجتمع، ومنهنّ من قاومن كلّ الظروف وواجهن المحن وفرضن ذاتهنّ في المجتمع «هذه المرّة لم أكن

¹ - أمال منصور: الخطاب الأدبي النسوي بين سلطة المتخيل وسؤال الهوية ، ربيعة جلطي، أحلام مستغانمي أنموذجا، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد الثالث: قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، بسكرة 2006، ص 199.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 50.

³ - المصدر نفسه؛ ص 53.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص 56.

⁵ - محمد رياض وتار: شخصية المثقّف، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1999، ص 51.

لأستسلم، وأخذت أدفعه بعنف محاولة تخليص نفسي»¹ فهي في كل مرة تقاوم من أجل نفسها ومن أجل أولادها وعملها، محاولة التخلّص مما يحيط بها من العنف، القهر والظلم.

يرتكز الفعل الذكوري، على خنق حرية المرأة «لا يمكنك منعي، مستحيل أن أتخلى عن عملي [...] عيب، أقسم أنه عيب، أن يعد الرجل بشرفه ثم لا يفي»² كان ناصر زوج فاطمة يريد إيقافها عن عملها، وخلف بوعده عندما تزوجها، وكان شرطها الوحيد هو العمل، إلا أنه أخلف بوعده، وهي لم تسمح بذلك وقاومته للعودة إلى العمل بالإستعانة بأبيها الذي أعطى العمل شرط قبل الزواج.

مازالت المرأة في المجتمع الجزائري، تعاني من السيطرة الذكورية، وأنّ تعليمها وتكوينها وخروجها إلى ميدان العمل الحر لم يتغيّر كثيرا، من النظرة السائدة حولها في تلك الفترة «قررت العودة إلى العمل لأموت في القسم أو في الطريق، أو في مكان آخر، المهم ألا يجدني مستسلمة في فراش بارد، فعلى الأقل لأمت بشيء من الشجاعة»³ المجتمع دائما يفرض على المرأة الإستسلام والطاعة والصمت، إلا إنّها دائما تقاوم وحتّى في مرضها كانت تقاوم الموت من أجل الحياة والموت بكرامة وشجاعة وليس كمستسلمة.

كافحت المرأة وقاومت بكل قوتها، غير مكترثة بالظروف المحاطة بها، وكانت سعاد المرأة القوية التي غيرت مجرى حياتها، وتكافح من أجل تحقيق العدل، في وطن مملوء بالإرهاب المتطرفين، وتكون امرأة قويّة مقاومة وصامدة في وجههم «سعاد تحوّلت فعلا إلى امرأة جديدة، امرأة تمتزج فيها الأنوثة والرقّة والحنان بالقوّة والشراسة والإنّقام، لم ينتبه

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص137.

² - المصدر نفسه؛ ص131.

³ - المصدر نفسه؛ ص185.

الإرهابيون بعد، وهي لم تتعب...سعاد لا تهاب الموت، إنّما الموت هو الذي يهابها»¹ امرأة تخطت العوائق والصعاب، لتتغلب على أعدائها.

سعت المرأة لتغيّر قدرها ومصيرها وتحول الهزيمة إلى نصر، وقررت خوض المعركة ضدّ الرجل والمجتمع «لقد واجهت كلّ محاولات التدجين التي تعرّضت لها والتي تهدف إلى إختزالها إلى مجرد آلة لتفريغ الأولاد، وكان لها ما أرادت بفضل إصرارها، وإرادتها ووعيها الذي رفض وضعية، القهر المفروضة على المرأة»² لا شك أنّ المجتمع، ينظر إلى المرأة على أنّها زوجة، تطيع أوامر زوجها وتربي أولادها، دون أيّ عمل ولا أيّ نشاط إبداعي.

تهدف المرأة لرسم طريقها، الذي يوصلها إلى مبتغاها بحريّة تامة، بإصرارها، مواجهتها ومقاومتها، لواقعها المفروض من قبل المجتمع الذكوري، الذي سيطرت عليه العقليات التي تفرض على النساء بلبس الحجاب والتدبير، بدون أيّة أخلاق ولا أيّ علم بما يدور في الدين الإسلامي «جعل الدين حاجزا أمام المرأة الطموحة، برغم أن الدين الإسلامي دين حضارة وعلم وتفتح، فتحرم على المرأة العمل مهما كان»³ فأرجعوا سلفيتهم وإعتقاداتهم البالية عائق، لحصر وكسر أحلامهنّ وطموحاتهنّ وجعلهنّ، يحزّمون ويحلّلون على هوامهم «عوامل المقاومة لأنماط السائدة والطرف الجامدة لحياة النساء في هذه المرحلة الزمنية»⁴ فهناك عدّة عوامل قاومت المرأة لأجلها الحجاب، الظلم، القهر...إلخ.

استلب الرجل المرأة وحرّمها من حقوقها، واستغلها ماديا «كما أنّ المرأة في كثير من الأحيان، تصبح عاجزة عن أن تتدوّق لذّة الإستغلال المادي والإقتصادي، أو التحكّم بما

¹- فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص208.

²- محمد رياض وتار: شخصية المتكف في الرواية العربية النسوية، ص51.

³- فريدة شلوف: المرأة المقاول في الجزائر دراسة سوسيولوجية، ص124.

⁴- عائشة تيمور: تحديات الثابت والمتغير في القرن التاسع عشر، ص124.

تنتج، فقد تمتد يد الزوج أو الأب لتتصرف بما ليس لهم حق فيه»¹ تعمل المرأة في البيت أو في الخارج، ولا تستطيع أن تمسك بأيّ فلس من مالها، دون الإكتراث إن كان لها مال لتشتري به ما تحتاجه «جمعت ما لديّ من قوّة وواجهته وذكّرتّه أنّه مالي ولا يحق له التّصرّف فيه أو حرمانه منه، وهو ثمرة تعبي وعريقي»² بعد زواج فاطمة من ناصر منعها من العمل، وقاومت من أجل ذلك، إلاّ أنّ أجر عملها لا تأخذه منه.

كانت فاطمة تدافع كلّ مرة عن حقوقها المسلوّبة منها «صرخت وعلا صوتي وأنا أشكي وأبكي [...] قاومت بما إستطعت، وأنا أكرّر على ما معه: كرهت، تعبت، دعني، طلقني!»³ الظلم الجائر كان يلاحق فاطمة، منذ بداية حياتها، عانت في بيت أبيها، وبعد ذلك عانت من زوجها، الذي كان يضربها في كلّ مرّة «ساهمت معاناتها أثناء سنوات زواجها، وبعد طلاقها ونظرة المجتمع الغير منصفة للمرأة المطلقة في خلق نوع من التّحدي الذي ظهر في رفضها للإستسلام، الذي خضعت له طويلا باسم العادات والتقاليد التي تلوم المرأة دائما وتحملها مسؤولية كلّ الأخطاء التي تحدث في المجتمع وتفرض عليها التّضحية والسكون والصّبر»⁴ عانت المرأة في حياتها منذ الطّفولة، في بيت أهلها وزوجها، وبعد طلاقها، فالمجتمع ينظر للمرأة المطلقة نظرة ار وأنها هي إمراة فاسدة.

يجب على المرأة أن تكافح من أجل تحرير ذاتها من قيود المجتمع «وبدا جلياً النشاط الذي أقدمت عليه المرأة، وسجّلت النّقاط لصالحها، فأصبح الطّريق ممهداً أمامها، لتثبت شخصيتها وتحقّق ذاتها»⁵ بصبرها وإصرارها، حقّقت أهدافا، لتبرهن نفسها في المجتمع «بدء من الآن أريدك أن تتغيّري، أن تدافعي عن نفسك، لا تساومي على كرامتك، ولا على

¹ - فريدة شلوف : المرأة المقاتلة في الجزائر دراسة سوسولوجية، ص77.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك: ص137.

³ - المصدر نفسه؛ ص153.

⁴ - فريدة شلوف: المرأة المقاتلة في الجزائر دراسة سوسولوجية، ص107.

⁵ - عائشة تيمور: تحديات الثابت والمتغيّر في القرن التّسع عشر، ص46.

أحلامك»¹ لا ترضى فاطمة، أن تعيش إبنتها نفس المعاناة التي عاشتها هي وتطلب منها أن تكون قويّة، وتدافع عن نفسها، وأن تسعى لتحقيق أهدافها «صورة المرأة المكافحة الصابرة وتجاوز الذات في سبيل أسرتها، فضلا عن دورها وأهميتها في رعاية أبنائها وأسرتها»² إن فاطمة امرأة قويّة، وصبورة من أجل أسرتها وأبنائها، والتي ذقت كل أنواع الظلم والقهر من قبل زوجها.

وصل اليوم الذي تعيش فيه فاطمة حياتها حرة مستقلة متجاوزة آلامها «تأتين معي لتتكلّمي عن تجربتك كإمرأة مناضلة في الجمعية، وهي فرصة لتشيري إلى كتابك، ليعرف الناس، أنك إنتقلت من مستوى البكاء والنواح إلى مستوى الكتابة»³ طلبت كريمة من فاطمة، أن تذهب معها إلى حصّة تلفزيونية لتكشف نفسها، وأنها قاومت مصاعب الحياة وتخطت آلامها، مرضها وطلاقها بالكتابة عن حياتها «إنّها لا يمكن أن تبقى خلف القضبان تصادر آراؤها ومهاراتها، وتموت روحها الخلافة بفعل الأيام، قرّرت إذن إختراق الأسوار ودخول عالم الإبداع الأدبي، فكانت الكتابة بالنسبة لها فعل خاص»⁴ المرأة المبدعة خاصة، تحاول بكلّ السبل مقاومة الظروف، وتحقيق أهداف والسير قدما نحو الأمام، وإلا ستبقى منهزمة في البيت، دون أيّ إبداع وبالتالي سيزول إبداعها.

قاومت المرأة بكلّ ما أوتيت من قوة، لتكون خير ذريع، للظلم المسلط عليها «قرّرت أن أضع حداً لكلّ الرجال الذين حولوا حياتي إلى جحيم، وتحكّموا فيها دون أن يجلبوا إليها ذرة سعادة ولو كان إبني، وهذا هو الإمتحان الصّعب»⁵ قررت فاطمة أن تقف، في وجه

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص234.

² - محمد أحمد القضاة: صورة المرأة في الرواية والقصة القصيرة النسوية الأردنية، دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 37، العدد 1، 2010، ص47.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص239.

⁴ - أمال منصور، الخطاب الأدبي النسوي بين سلطة المتخيل وسؤال الهوية، ص199.

⁵ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك ، ص240.

الرجال الذين حولوا حياتها إلى جحيم، حتى لو كان إبنها، فتخطت ظروف الحياة، وانتقلت من مضمار القهر والعنف إلى مضمار الكتابة بقوة وشجاعة.

1-2- صورة المرأة المثقفة:

إهتم أغلب الروائيين بالمرأة المثقفة، ويرجع السبب ربّما، إلى قدرة هذا النموذج في التعبير عن الفكرة، التي يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقّي، فهو شديد التأثير، بالأوضاع السائدة في مجتمعه وخاصة المرأة، بإعتبارها كائن مرهف المشاعر.

صوّرت رواية "تشرفت برحيلك" صورة المرأة المثقفة خلال العشرية السوداء، ومن النماذج التي طرحتها الرواية نجد فاطمة الزهراء، التي تعتبر بطلة الرواية، إضافة إلى كريمة وهي التي ساعدت البطلة من أجل إبراز مواهبها «شخصية المثقف ككائن فصل عن الآخرين، كشخص قادر على قول الحق، بمواجهة السلطة، كفرد قاس بليغ وشجاع إلى درجة لا تصدق»¹ يعتبر المثقف شخص مختلف، عن بقية الأفراد يواجه الحياة، ويحاول بشجاعته قول الحق، من أجل تحطيم كلّ القيود السائدة في المجتمع.

اتّخذت فاطمة الكتابة سبيلا من أجل تبليغ رسالة، أنّ المرأة كائن بشري، له مشاعر وإحساس ولم يخلق للذلّ والقهر النفسي، الجسدي والمعنوي «المثقف هو فرد، له في المجتمع دور علني محدد لا يمكن تصغيره إلى مجرد مهنة لا وجود له أو عضو كفؤ في طبقة ما لا يهتم إلاّ بأداء عمله فالحقيقة المركزية بالنسبة إلي، كما أعتقد هي أنّ المثقف وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة أو جهة نظر أو موقف أو فلسفة أو رأي، أو تجسيد أيّ من هذه أو تبيانها بألفاظ واضحة لجمهور ما»² كون المثقف يعيش في مجتمع له حقوق وواجبات، ودور يسعى لتحقيقه فلا يمارس مهنته هكذا فقط، دون النظر والتدبر.

¹ - إدوارد سعيد: صور المثقف، د ط، دار النهار للنشر، بيروت 1994، ص25.

² - المرجع نفسه: ص28.

يهدف المثقف إلى إيصال رسالته، وقضيته للمجتمع وتوعيته «هذا أول حوار تقبل فاطمة الزهراء إجراءه، فهي لم تكتب من أجل الشهرة وإنما من أجل قيمة»¹ لم تكتب فاطمة من أجل أن يداع صيتها، بل من أجل إيصال مجموعة من القضايا، لتغيير الواقع وإصلاحه «المثقفون الحقيقيون لا يكونون أبداً في أفضل حالتهم النفسية، إلا عندما تحركهم عاطفة ميتافيزيقية ومبادئ الحق، والعدل التزيهة فيستجوبون الفساد، ويدافعون عن الضعيف، ويتحدون السلطة المعيوبية أو القمعية»² المثقف هو أكثر الشرائح المدافعة عن الحق والضعفاء، والوقوف ضد السلطة. فدائماً المبدع لا يكون في أفضل حالاته النفسية، فلا يبدع إلا وهو تحت تأثير الظروف والأوضاع التي يعيشها.

تحاول المرأة بكل ما أوتيت به لتتخلص من ضعفها وتبرز شخصيتها «مثقفة ومتحررة تسعى للخروج على وضعية القهر التي فرضها عليها زوجها»³ المرأة المثقفة تحاول دائماً تحطيم القيود المفروضة عليها من قبل زوجها خاصة والمجتمع الذكوري عامة «أنا كمثقف أعرض إهتماماتي أمام الجمهور أو مجموعة من المؤيدين إلا أن المسألة لا تقتصر على كيفية التعبير بوضوح في هذه الإهتمامات بل تتعداها أيضاً إلى ما أمثله أنا بنفسني كشخص يحاول تعزيز قضية الحرية والعدالة، وأنا أتحدث عن هذه الأفكار أو أكتبها لأنها بعد طول تفكير هي التي أوّمن بها، ولأنني أيضاً أريد إقناع الآخرين بوجهة النظر هذه (...). فعندي تاريخي وقيمي وكتاباتي ومواقفي كما هي مستمدة من تجاربي من جهة ومن الآخر كيفية دخول هذه الخصوصيات كلها إلى العالم الاجتماعي»⁴ فإدوارد سعيد يعرض هنا مثلاً إهتماماته على المتلقي، وأفراد المجتمع بصفة عامة، ويحاول تدعيم العدالة

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص5.

² - إدوارد سعيد: صور المثقف، ص23،

³ - محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، ص52.

⁴ - إدوارد سعيد: صور المثقف، ص28.

والحرية والحق أولاً، ليعبر عنها بوضوح ثانياً، فبعد التفكير، يصيغ الأفكار التي يؤمن بها والتي يقدّسها من أجل إقناع الجمهور بها.

يمتلك كلّ مثقّف تاريخ، ووجهة نظر وقيم مأخوذة ومستوحاة ممّا عاشه ومن ماضيه وتجاربه من جهة ومن الآخر من جهة ثانية «ذات مرّة كتبت وطارق بخاطري أحبّك هذا جنون (...). أعدت ما كتبت وفرحت لأنّي استطعت كتابة شيء»¹ كلّ مرّة تلجأ إلى كراريسها من أجل الكتابة إلاّ أنّها لا تكتب شيء، وكلّ ما كتبه هو اسم طارق بكلّ الأحجام والاشكال، بدأت فاطمة في التدوين وكتابة ما كان يدور في بالها «المرأة المثقّفة فهي تتوقف إلى الإنطلاق وتعي ضرورته لها وحقه فيه، ولكنّها لا تستطيع أن تتقدّم خطوة واحدة على طريق حزنها، لأنّها لاتزال أسيرة قيود، تكبّلها من الدّاخل وتفرض عليها أن تظلّ تابعة للرجل»² ترغب دائماً المرأة البداية والسّير قدما، إلاّ أنّ القيود تحاصرهما، وتعرقل طريقها.

يواجه المثقّف في حياته، الكثير من الصعوبات إضافة إلى «عوائق سياسية كغياب الحرية، إنتشار القمع والإرهاب والإضطهاد والتّشريد والتّهجير، وعوائق إقتصادية كإنخفاض مستوى الدّخل للمثقّف، الذي يودّي إلى إنشغاله في تحسين دخله، على حساب دوره ووظيفته النّقديّة، وعوائق إجتماعية كإنتشار الأميّة بين صفوف النّاس»³ فهناك عدّة حواجز تعرقل حياة المثقّف، ومن بينها الإرهاب، الذي يعتبر أكبر عائق يسبب في التّشريد، والتّهجير والقمع، فسعت المرأة لفرض نفسها في هذه الفترة الحرجة.

خلّفت العشرية السّوداء للمرأة أوجاعاً وآلاماً، والتي عاشتها المرأة المثقّفة بدورها والمجتمع الجزائري بصفة عامة، حياة يملأها اليأس، فما كان عليها إلاّ أن حاربت من أجل حرّيتها «وأشدّ ما يدهش في عقيدته هو تأكّيده الحرّية الفكرية، وهذه مسألة رئيسية في

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص164.

² - محمد رياض وتار: شخصية المثقّف، ص53.

³ - المرجع نفسه: ص117.

أداء المثقف¹ كان أول شيء يلفت الإنتباه هو أنّ المثقف، لديه فكر خاص له، ويسعى دائما للتحرر «إنّ إحدى مهام المثقف هي بذل الجهد لتهميش الآراء المقولية، والمقولات التصغيرية التي تحد كثيرا من الفكر الإنساني والإتصال الفكري»² تلك المقولات التصغيرية عبارة عن آراء، وأقوال وعادات لا أهميّة لها توارثتها الأجيال، وبدون أيّ معنى يفتنون بها.

لا يمنح للمرأة أيّ حق في الحياة العملية، والإبداعية في الوسط الإجتماعي المتخلف «إنّ الكتابة إنتاج إبداعي ثقافي، يمارسه كلّ من الرجال والنساء بطرقهم، ذات الخصوصية التقابلية نسبيا على مستوى الأفراد [...] تتحرّك بإرادته وحده فإنّه لم يتح لها المجال الإبداعي، لممارسة وعيها الخاص وقيمها الإنسانية، الثقافية، الذاتية بطريقة مستقلة متحررة»³ فالإبداع والكتابة فن جميل، يقوم به الجنسين معا على حد سواء، فلا يكون حكرا على الرّجل وحده، بل بمقدور المرأة الإبداع في بعض الأحيان أفضل من الرّجل، الذي جعل منها أداة تتحرّك بإرادته.

ينظر الرّجل إلى المرأة، على أنّها ناقصة، وليس لديها أيّ سبب للعمل والخروج من البيت، فماذا لو أنّها أبدعت شيئا كالكتابة، والشعر وأيّ نشاط إبداعي آخر «يتكون المثقف من ثقافة تنشأ من حاجة الإنسان إلى الإجابة عن كلّ ما يواجهه، من تساؤلات حول ماضيه وعلاقته به، وحاضره وموقفه منه ومستقبله، ونظرته إليه»⁴ وتحاول المرأة المثقفة إلى إيجاد الحلول التي تشغل بالها حول حياتها، وما عاشته قديما في ماضيها وما ينتظرها في حياتها، وتمنحها القدرة أيضا على الكتابة «المثقف الذي يهتم في النهاية، هو ذاك المتمتع بالصفة التمثيلية، إنسان يمثل بوضوح وجهة نظر ذات طبيعة ما، ويعبر بجلاء

¹ - إدوارد سعيد: صور المثقف، ص33.

² - المرجع نفسه؛ ص12-13.

³ - حسين مناصرة: النسوية في الثقافة والإبداع، ص65.

⁴ - محمد رياض وتار: شخصية المثقف، ص129.

لجمهور عن تلك الأفكار التي يمثلها، برغم كل أنواع العوائق، وحجتي هي أن المثقفين أفراد عندهم الإستعداد الفطري لممارسة فن التعبير عما يمثلون، سواء كان ذلك قولاً أم كتابة، أم تعليماً، أم ظهوراً على التلفزيون»¹ فكون المثقف فرد فاعل في المجتمع، عليه أن يكون إنساناً قوياً ليبيّن رأيه، ويتغلب على كل العوائق وعلى كل ما يعيق سبل نجاحه.

يعمل المثقف على نشر الوعي والثقافة، والتغلب على كل الأحزان والآلام التي يعيشها «حاولت عدّة مرّات كتابة شيء بحجم آلامي، لكنني مع كل محاولة كنت أكتشف عجز الكلمات، لا شيء مما خربشته لا تضاهي معاناتي»² في كلّ مرة، تحاول فاطمة كتابة أيّ شيء، إلا أن الكلمات عاجزة للتعبير عن معاناتها «في تلك اللّيلة أصابني الأرق وشعرت بحاجة للكتابة، عدت وفتحت الكرّاس من جديد وبدأت أكتب، الساعة الثالثة صباحاً وعشرات الصّفحات قد إمتلأت، إنني أكتب قصّة حياتي، فهذا ما إحتجت لكتابته، لأعيد مراجعة نفسي»³ بعد طلاقها شعرت بنوع من الإهانة والظلم والقهر، وكانت الكتابة بمثابة دواء لها، لم يكن أمامها سوى قلمها الذي دون قصّة حياتها، ولتشرع بالإرتياح الداخلي.

قرّرت فاطمة نشر قصّة حياتها، لتكون عبرة للنساء الأخريات «دار بيني وبين كريمة حوار عميق، إنتهى بإتخاذي قراراً لا رجعة فيه، سأنشر قصّة حياتي»⁴ لما إنتهت من كتابة قصّة حياتها، شجّعها كريمة لتكون قدوة للنساء الأخريات، ولتكون امرأة قويّة قادرة على فرض نفسها «الكتابة قد أعادتني إلى الحياة وإلى الحضارة، ربما لا أكون فائقة التعبير الفني والأدبي، لكنني كتبت أساساً من أجل قضية إنسانية لا أدبية، ثم إن الكتابة

¹ - محمد رياض وتار: شخصية المثقف، ص 29.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 51.

³ - المصدر نفسه؛ ص 236.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص 238.

كالحبّ أيّا كانت نهايته تبقى مغامرة تستحق أن تعاش»¹ الكتابة حقا كالحب فهي تعيد النّبض إلى القلب، ففاطمة عاشت حياة القهر، واليأس، حياة مدمّرة خلال عشريّة دموبيّة.

اتّخذت المرأة من القلم، سلاحا لها لمواجهة التّخلف، واللّاعوي الموجود في الجزائر والذي عانت منه البطلة، فبنشر كتابها دخلت الحضارة وكتبت من أجل قضية، لأنّ المثقّف يكتب من أجل تغيير الواقع، وتغيير تلك المعتقدات التي تربي عليها المجتمع، فقامت البطلة بتدوين قصّة حياتها، والتي بدورها هي قصة مجتمع.

1-3- صورة المرأة الجريئة:

جعل المجتمع المرأة كائنا ضعيفا، وأنها مجرد سلعة رخيصة يتسلّى بها، خاصّة في الوضع الكارثي، الذي عرفته الجزائر في العشرية السّوداء، وأنها قد تعرّضت لتضييق كبير من طرف الجماعة الإرهابية والمتطرفين، الذين خلقوا فسادا في الأرض وخنقوا أنفاسها وحرموها من فرصة العيش بحريّة، وفي ظلّ هذا الوضع بقيت المرأة صامدة فكان لزاما عليها أن ترفع التّحدي، وتتجرّأ لتكافح وتدافع عن حقّها في الحياة.

تجرّأت سعاد لكسر تلك القيود التي خلقتها التّقاليد الإجماعية، وخرقت ذلك الخوف الذي يسكن البيوت الجزائرية، وهي «مغامرة ومتهورّة قويّة وواثقة من نفسها متحدثة جيّدة ومقنعة»² فسعاد فتاة قويّة لا تخشى أحدا، كما أنها مغامرة وتتحدى الصّعاب التي تواجهها في حياتها «اتّخذت قرارا لا رجعة فيه لن تدرس الطّب بعد اليوم، ستصبح شرطية مثل مراد وستقاتل الإرهابيين حتّى الموت!»³ تخلّت سعاد عن دراسة الطّب، فقط من أجل حلمها

¹- فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص241.

²- المصدر نفسه؛ ص28.

³- المصدر نفسه؛ ص148.

لتصبح شرطية وتقاتل الإرهابيين وتنتقم منهم لأنهم حرموها من حبيبها الذي كان محباً لوطنه يدافع عن حرية بلاده.

كافحت سعاد ضدّ الأوضاع التي تعيشها وتبرز مكانها في المجتمع، وتسعى جاهدة لتحرير النساء من «أوضاعهنّ المهمّشة، في إطار الثقافة الأبوية الإستغلالية، واللّائي أصبحن الآن يردن على المعرفة والدراية، يخترقن الأدوار التي يردن أن يقمن بها، ومواقف السّلطة التي لا يردن أن يستعبدن بها»¹ النساء يحاولن جاهدات للتّخلص من تلك السّيطرة الممارسة عليهنّ، وأنهنّ أصبحن يتّخذن القرار ويعرفن أدوارهنّ في الحياة «ولم ترد سعاد أن تكون مجرد شرطية عادية وقد أصرت على الدخول في القوات الخاصة بمكافحة الإرهاب أيما إصرار، وفعلا كانت من أوائل النساء اللّواتي إلتحقن بها»² لم تكتف سعاد أن تكون شرطية، وإنّما قرّرت وتجذّرت أن تلتحق بالقوّات الخاصّة لمكافحة الإرهاب، وهي أوّل امرأة تلتحق بذلك القطاع.

برهنت سعاد للمجتمع الذّكوري أنّها قادرة على تحرير نفسها من سلطتهم، وقادرة على مزاولة أعمالهم، وهكذا «تتمكن النساء من نيل حريّتهنّ ولعب دورهنّ على قدم المساواة مع الرّجال»³ النساء الجريئات هنّ اللّواتي يستطعن أن يحصلن على حريّتهنّ، ويتمتّعن بحقّهنّ وأن يخرجن من قوقعة الإستغلال والإستبداد، وسعاد واحدة من بينهنّ، فهي لا تستطيع السّكوت أو التّخلي عن حقّها وهي «المعروفة بأنّها قويّة ولا تخاف من أحد وتستطيع أن تقاتل جميع الرّجال عندما تكون لديها قضية»⁴ سعاد إمراة لا تخشى أحدا، وأنّها قادرة على

¹ - حسين مناصرة: قراءات في المنظور السّردى النّسوي، ص123.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص148.

³ - بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، ص69.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص70.

مواجهة الصعوبات، لتدافع عن قضيتها، وكسر الظلم والإستبداد اللذان تعاني منها المرأة الجزائرية، لتحقيق حريتها وأن تكون إنسانة تتمتع بكرامتها، وتبرز وجودها في المجتمع.

وقفت المرأة في وجه الرجل الذي إحتقرها، وأنكر وجودها ودورها في الأسرة والمجتمع، وفاطمة تعبت من آلامها وخرجت من صمتها «بدأت أثور وهو يثور، انفجرت كبركان خامد منذ آلاف السنين، دهش لجرأتي غير المعتادة هذا المساء، وحتى أنا إندهشت من نفسي ولأول مرة قلت له هذا الكلام! أنت رجل مستغل!»¹ واجهت فاطمة ناصر، وصرخت في وجهه بعد خروجها من صمتها، وسكونها لمدة طويلة ، حتى أنها إندهشت لجرأتها، وقوتها لتكشف ناصر على حقيقته وتكسر ذلك الظلم الممارس عليها.

إن المرأة القوية هي التي تحقق أهدافها، والتي تسعى جاهدة لتصدّي كل العوائق التي تواجهها، كما تسعى لإيقاظ وعي النساء للتحرر من كل القيود، التي رسمها المجتمع، وتخرج من دائرة الخوف لمواجهة العالم الخارجي بكلّ معيقاته، وفاطمة إمتلك القوة الكافية لمواجهة ناصر «دخلنا في شجار عنيف وجمعت ما لديّ من قوّة وواجهته وذكرته أنّه مالي ولا يحقّ له التصرف فيه، وحرمانني منه وهو ثمرة تعبي وعريقي»² واجهت فاطمة ناصر لحرمانها من مالها، وصرخت في وجهه لتذكره أن المال مالها، وهو من عرق جبينها.

عانت فاطمة الكثير من المآسي والآلام في حياتها، منذ أن كانت طفلة مراهقة إلى أن أصبحت إمراة وأمّا لأربعة أطفال، عاشت حياة العبودية، والقهر وسلبت منها حقوقها وحرّيتها، إلّا أنّها تجرّأت لكشف ذلك الظلم، وقرّرت أن تصدر كتابا تكشف فيه آلامها «بعد أشهر قليلة صدر الكتاب باسمي الكامل فاطمة الزهراء زيتوني»³ صدر الكتاب باسمها الحقيقي، فهي غير راضية بأن تنشره باسم مستعار، لأنّ ذلك يعتبر جينا وضعفا «قصة

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص222.

² - المصدر نفسه؛ ص137.

³ - المصدر نفسه؛ ص238.

معلّمة مجهولة لن تلقى رواجاً ولن يشتريها أحد، نشرتها لأقهر خوفي وأتعافى منه، ولأقدم العبرة وأشجع الأخريات على الحديث عن قضايا المرأة المسكوت عنها، خاصة العنف والاستغلال المادي»¹ نشرت فاطمة الكتاب لتتخلص من خوفها، وأن توظف النساء المعتقات مثلها للخروج من ذلك القهر، وتشجعهنّ على كشف قضاياهنّ المسكوت عنها، والدّفاع عن أنفسهنّ واسترجاع كرامتهنّ وحقوقهنّ المدفونة منذ أمد بعيد.

1-4-صورة المرأة المستلبة:

تعيش المرأة الجزائرية في وسط إجتماعي ذكوري، أنكر وجودها ومسح هويتها، خاصة في فترة العشرية السوداء، بعدما طغى التطرف الديني في المجتمع، فأصبحت تخضع لقوانين المجتمع والأسرة تحت السلطة الذكورية، وهذا ما يعيقها في عيش حياتها بحرية وحرمت من كلّ الحقوق المسلوبة منها.

وجد المرأة في رواية "تشرفت برحيلك" استلبت من حقوقها، وفاطمة جرّدت من حقوقها التي تسعى لتحقيقها، فكانت راغبة في النّجاح في شهادة البكالوريا وتلتحق بالجامعة «وفي الخامس من شهر جويلية، ذهبت مع سعاد إلى الثّانوية لمعرفة النّتايج»² أعلنت النّتايج وفاطمة ذهبت مع صديقتها سعاد إلى الثّانوية، غير أنّها لم تتفوّق في الإمتحان وكانت خائفة وحزينة، لأنّ فؤادا يمنعها من إجتياز البكالوريا مرّة أخرى «فؤاد سيظل يقسم بأنّها فرصتي الوحيدة وأتي إذا لم أنجح سأمكث في البيت»³ هذه فرصة فؤاد لكي يمنع فاطمة من الخروج من البيت، ولا يمكنها أن تجتاز الإمتحان مرّة أخرى «راح يمزّق الكتب والكراريس

¹- فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص239.

²- المصدر نفسه؛ ص47.

³- المصدر نفسه؛ ص49.

الموضوعة جنب سريري ويرميها على الأرض»¹ مزق فؤاد كل ما يتعلق بالدراسة من الكتب والكراريس، وهو يقسم أنها لن تعود للدراسة، ولا خروج لها من البيت.

قرب موعد العودة إلى الدراسة وفاطمة عليها التسجيل، لكن فؤادا لها بالمرصاد، «قولي لإبنتك ألا تخرج من غرفتها إن كانت تريد أن تعيش»² هددها أن يقتلها إن خطت خطوة خارج البيت «أدخلي قبل أن أجعلهم يحفرون قبرك»³ أمرها بالعودة إلى البيت قبل أن يرتكب فيها جريمة، «تخلّيت بسهولة عن طموحي في بلوغ الجامعة ولقاء طارق من جديد»⁴ خسرت فاطمة كل طموحاتها، وتخلّت عن حلمها غصبا عنها، وحرّمها فؤاد من حقها في التعليم، وأن تنجح في إمتحان البكالوريا والإلتحاق بالجامعة.

حرم فؤاد فاطمة من حريّتها وحقها، في إظهار جمالها وأن تتزيّن كباقي الفتيات لأنّ هذا يعتبر حراما، وأمرها بأن تلبس الحجاب وألا تخرج من البيت «إياك أن تخرجي بدون خمار بعد اليوم»⁵ فؤاد ينبّه فاطمة بعدم الخروج من البيت إلا وهي مرتدية الحجاب، وهي ترفض إرتدائه دون إرادتها، وأنها تحب أن تكون حرة في لباسها، لا أحد يجبرها على شيء، لكن أخويها يهدّدانها بالقتل إن لم ترتديه فهما لا يرحمانها «أجل تحجّبت فعلت ذلك حفاظا على حياتي، لأنّي لو خرجت بدون خمار هذا الصّباح لكسرا أضلعي، وخاصة أنّ أبي ليس بالبيت وقد أمرني بذلك هو أيضا»⁶ تحجّبت فاطمة في الأخير، لتحافظ على حياتها من أخويها المتطرفين، اللذان أرغماها على إرتداء الحجاب غصبا عنها.

¹- فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص50.

²- المصدر نفسه؛ ص57.

³- المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها.

⁴- المصدر نفسه؛ ص60.

⁵- المصدر نفسه؛ ص38.

⁶- المصدر نفسه؛ ص105.

إنَّ كلَّ فتاة تصل إلى سنِّ الزَّواج، لديها الحق في الرِّفض أو قبول أوَّل خطيب يتقدَّم لها، أو حقَّ إختيار شريك حياتها، لكن فاطمة ليست كباقي الفتيات، أجبروها على الزَّواج من رجل أتى به فؤاد «ها أنت!! إحمدي الله أننا وجدنا لك رجلاً، وإلاَّ ستبقي عانسا طوال عمرك!»¹ العريس من طرف فؤاد لن يهدأ له بال حتى يزوجهها، قبلت أو رفضت ذلك «يوم الجمعة ستكون الخطبة وانتهى الأمر، والأحسن أن تدعي الأمور تمرَّ بسلام»² ليس بيد فاطمة حيلة لأنَّ أخويها، هما اللذان يتحكَّمان فيها ويحدِّدان مصيرها «تمت موافقتي وتمَّ بيعي أرخص بيع، لا اشترطت شيئاً ولا اعترضت على شيء»³ أهل فاطمة وافقوا على خطبتها دون إعتراض ودون شروط، ودون أخذ رأيها «جيد أو غير جيد هذا هو نصيبك والعريس في الصَّيف وانتهى الكلام»⁴ فؤاد يرى ناصراً الزَّوج المثالي لفاطمة، دون الإكتراث لمشاعرها ورغبتها، فدفنوها وهي حيَّة، كأنها سلعة تباع وتشتري لأوَّل زون.

تزوَّجت فاطمة وكانت منهارة تماماً، وزوجها ناصر مثل أخويها إرهابيِّ ومستغل، إستغلَّها مادياً، واستلب منها مالها «قبض راتبي كاملاً، وفي حسابي بقي راتب الشَّهر السابق ومنحة المردودية أيضاً، وضع كلَّ شيء في جيبه وجرتي وراءه كالعادة»⁵ سحب ناصر كلَّ ما تملكه فاطمة من مال، وأخذ منها دفتر الشَّيكات والبطاقة «في البيت إنتظرت أن يعيد إليَّ دفتر الشَّيكات والمال لكنّه لم يفعل، وحسبته مجرد نسيان، بعد يومين ذكَّرتّه بالأمر فأنجر في وجهي: وماذا ستفعلين بالمال؟ أستجوبين الشَّوارع كمن لا تملك من يتحكَّم فيها! هذا ثمن أكلك وشريك أم أنك تعيشين مجاناً هنا!»⁶ عندما طلبت من ناصر

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 96.

² - المصدر نفسه، ص 97.

³ - المصدر نفسه؛ ص 102.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص 10.

⁵ - المصدر نفسه؛ ص 135.

⁶ - المصدر نفسه؛ ص 136.

أن يعيد لها دفتر شيكاتها ومالها، إنفجر في وجهها وقال لها: هذا مصروف معاشك، وأنها تدفع ثمن أكلها وشربها كمستأجر، وبعد أيام جاء ومعه ورقة وطلب منها أن تمضي «إنها وكالة بإسمي، أصرح فيها بأني قد وكّلت زوجي لسحب أموالي»¹ فاطمة رفضت تلك الفكرة، ولا تريد التوقيع «تحت الضّغط أمضيت على الورقة، لم يحتاج بعد الآن لتوقيعي أو حضوري لسحب مالي»² أمضت فاطمة على تلك الورقة تحت الضّغط، فهو لا يحتاج لتوقيعها لسحب أموالها، ويتصرّف بهم كما يشاء.

جرّدت فاطمة من أموالها ولم تتمتع بهم، حتّى أنها لا تستطيع إقتناء حاجياتها «دخل الرّاتب وأحتاج لعدّة أغراض أعد إليّ دفتر الشّيكات، ودعني أذهب مع زميلاتي غدا لسحب المال لشراء حجاب آخر، فالحجاب الأوّل عريض جدّا عليّ، كما أنّه ليس لديّ حذاء مريح»³ فاطمة كالمتمسّولة تطلب من زوجها بعض المال لشراء ما يلزمها من أغراض «كأنما ارتكبت جريمة أو على وشك ارتكابها، إنفجر في وجهي وعائرنني مهدّدا: طبعا هذا ما تريدينه الذّهاب والإياب في الشّوارع كمن لا رقيب لها! قليلة الأدب والحياء! إحذري أن تطلبي مرّة أخرى شيئا كهذا!»⁴ دائما ما يتحجّج أنّها تريد فقط أن تجوب الشّوارع وليس لديها لديها ولي يتحكم فيها، لكي يتمتّع بأموالها.

بقيت فاطمة على هذه الحالة كمتسّولة، وليست كمعلّمة ولديها راتب «تهالكت محفظتي مثلي وما عادت تحمل، تقطّعت يدها وقلها ما عاد يقفل، وأصبحت أحملها تحت إبطي تدبّرت لها يد من قماش وقلها من سلك معدني لكن لم يصمدا أمام ثقلها، كلّ يوم أسأل ناصرا بعض المال لأشتري محفظة جديدة لكن بلا جدوى»⁵ محفظة بيد من قماش وقلها من

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 137.

² - المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه؛ ص 136.

⁴ - المصدر نفسه؛ الصفحة نفسها.

⁵ - المصدر نفسه؛ ص 177.

من سلك معدني، أصبحت لا تتفع لحمل الأغراض «ذات مساء جاء ومعه أرخص أنواع المحافظ وربما في حجري كما لو كنت متسولة، وقد أشفق عليّ بصدقة مفرغة من كل إنسانية!»¹ اشترى ناصر محفظة بأرخص ثمن، كأنها متسولة أو كمتشردة عطف عليها.

إستغل ناصر أموال فاطمة، وهي تتأمله غير قادرة بالبوح بكلمة واحدة، إشتري بهم سيارة لم تركبها وشقة لم تسكنها «سيارة جديدة فاخرة بمالي ولن يركبني فيها، إلا للحالات الطارئة، أما المدرسة فأذهب إليها يوميًا راجلة وهو يتفرج»² تذهب إلى المدرسة مشيا، وناصر يمتلك سيارة فخمة لا يستطيع إركابها، هذا كله من حقّ تعبها ومن عرق جبينها، وسلبت منها حقها المادي، الذي من المفروض أنّها، هي التي تتصرف فيه، وأنّها امرأة مستضعفة استنزفت حقوقها.

1-5- صورة المرأة المقهورة/ المعنفة:

مما لا شكّ فيه أنّ المرأة العربية، منذ القدم قد عانت من ويلات القهر والعبودية الممارس عليها، من طرف المجتمع الذكوري ولم تكن لها أدنى كلمة في المجتمع، فهي ذلك المخلوق الذي لاحول ولا قوة له، وإنّ حياتها في عصرنا لا تختلف كثيرا عن سابقتها، وهي المرأة التي يسلط عليها أنواع القهر والحرمان، استنادا للتقاليد الإجتماعية المتوارثة، التي تعطي للرجل الهيمنة الكبيرة على الأنثى، إذ لا تختلف المرأة الجزائرية عن المرأة العربية، وهي أيضا تعرّضت للقهر، هضموا حقوقها وسلبوا أحلامها في المجتمع وخاصة في فترة العشرينات السوداء، حيث كانت المرأة ضعيفة ومتأزّمة نفسياً بسبب الإرهاب والمتطرفين.

تحمل الرواية آهات الأنثى، التي لا تستطيع المرأة البوح بها، فنجدها تتعرّض لشتى أنواع القهر من قبل الأسرة والمجتمع، وفاطمة كمثل النساء الأخريات نالت نصيبها من

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 169.

² - المصدر نفسه؛ ص 180.

الظلم من قبل أخويها فؤاد ورشيد «شدني من شعري ورماني على الأرض، ركني عدة مرّات قبل أن تسحبني أمي من بين رجليه»¹ فاطمة تعرّضت للضرب الشديد من قبل فؤاد، وهي لا تستطيع الدفاع عن نفسها وعن حقّها «مازالت معظم النساء في العالم خائفات، وما زلن جائعات، وما زلن مكتومات الصوّت، ويثقل الدّين كاهلنّ بكلّ أنواع القيود، وما زلن مقمّعات، ومكّمّات ومشوّهات ومضروبّات»² بقيت المرأة في بقعة الخوف، مكتومات الصوّت، استغلّت وأهينت من طرف الذّكر، ولهذا بقيت مقمّعة ومشوّهة ومضروبة، غير قادرة على كشف صوتها وآلامها ومعاناتها.

عانت فاطمة الكثير من المآسي، فكان فؤاد يحتقرها ويضربها لأتفه الأسباب، «في جزء من ثانية سحب سكيناً من حيث لا أدري وهجم عليّ، شدني من شعري وأسقطني أرضاً، لم أفهم إن كان همّ فعلاً بذبحي أم كان فقط يهددني لأنّ سكّينه بقيت عالقة ولم ينزلها عليّ»³ هجم فؤاد على فاطمة وهو في حالة شرسة أكثر من ذي قبل حتّى وصل به الأمر إلى أن أخذ سكيناً لذبحها، وهي بقيت هاوية على الأرض دون حراك من شدّة رعبها وخوفها «تحولّ المرأة إلى ضحية أو كبش فداء في سياقات علاقتها بالرجل سواء كان أباً وأخاً وزوجاً وابناً وقريباً وجاراً إلخ»⁴ المرأة ضحية الرجل، وتعيش تحت سيطرته، فهي مجرد سلعة يتحكم فيها «تمّت الخطبة دون موافقتي، وتمّ بيعي أرخص بيع، لا اشترطت شيئاً ولا اعترضت على شيء»⁵ فاطمة زوجوها دون معرفة رأيها، وهي غير راضية في ذلك، لأنّ المجتمع الذكوري يسيطر على المرأة، فليس لها الحق في القبول أو الرّفص أو البوح بكلمة واحدة، لأنّ صوتها لا يسمع ولا يأخذوه بعين الإعتبار.

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص50.

² - جيرمين غرير: المرأة المخصية، تر: عبد الله بديع فاضل، ط1، الرحبة للنشر والتوزيع، سوريا 2014، ص17-18.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص57.

⁴ - حسين مناصرة، قراءات في المنظور السردي النسوي، ص8

⁵ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص97.

تعيش المرأة حياة الذلّ والعبودية والإحتقار في الأسرة والمجتمع، سواء كان ذلك من طرف الأب أو الأخ أو الزوج «لعلّ الزوج يعد من أكثر الشخصيات الذكورية عنفا تجاه الزوجة، إذ يغدو عنفه جريمة كبرى في المنظور النسوي»¹ المرأة تتعرض أكثر للعبودية من طرف زوجها، وفاطمة عانت ويلات القهر من زوجها أكثر من قبل «شدني من شعري وبدأ يضربني بشكل عشوائي رماني فوق السرير ثم خرج، لقد هربت من وحش إلى وحش آخر»² نفس العذاب الذي عاشته فاطمة من طرف فؤاد، وها هي تعيشه في بيت زوجها ضرب وعذاب، وهذا فقط لأنها تطالب بحقها مرة ثانية.

جعل الرجل المرأة تسير تحت سيطرته وتحت وطأته، فاحتقرها وداس على كرامتها «فوجد الضرب والإيذاء اللفظي يصل بالمرأة إلى درجة الإنهيار حتى الموت، وأن المرأة في هذا السياق ضحية بامتياز، وهي تتلقى الصّفعات، والرّكلات والشّتائم»³ المرأة مخلوق ضعيف وحساس لدرجة كبيرة، فقد استغل الرجل ضعفها، مارس عليها شتى أنواع العبودية من ضرب وشتم وركل «كان قد صفعني بما يملك من قوّة ومن فرط ذهولي وصدمتي أمسكت خدي وبقيت صامتة للحظات، وتضربني أيضا! أقتلك إن شئت»⁴ تعجبت فاطمة وصدمت من الصّفعة التي أكلتها من زوجها، فالمرأة وإن طلبت حقها تضرب فهي مجرد عبيد تخدم زوجها «شدني من شعري وصفعني عدّة مرّات، مهددا إياك أن تعيدي مرّة أخرى جملة لأعود لأهلي، لأنني سأقطع رأسك قطعاً»⁵ لا يحقّ لفاطمة المطالبة للعودة إلى بيت أبيها، وإن طلبت ذلك تعرّضت للإهانة والشّتيم والضرب.

¹ - حسين مناصرة: قراءات في المنظور السردى النسوي، ص10.

² - فيروز رشام: تشرفت برحيلك: ص131.

³ - حسين مناصرة: قراءات في المنظور السردى النسوي، ص10.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص131.

⁵ - المصدر نفسه؛ ص132.

ثار كبرياء فاطمة، ولم تتحمل الظلم الذي يمارسه ناصر عليها «ثارت ثائرتي أنا أيضا وصرخت في وجهه معلنة عصياني، وما كان جوابه سوى أن شدني من شعري وأخذ يجرتني منه، هذه المرة لم أكن لأستسلم وأخذت أدفعه، محاولة تخليص نفسي عندما لعنته بالغدار صفعني، وركلني وأسقطني أرضا من زاوية ضيقة»¹ حاولت فاطمة رد اعتبارها وتصرخ في وجه زوجها، معلنة أنها إنسانة مثله، وأنها لديها نفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها، إلا أن المرأة لا تستطيع رفع صوتها أمام الرجل، فتبقى صامتة لا تظهر وجعها وألمها مهما كان الأمر «فيأتي رد فعل المرأة في العادة محتشما بالصمت مقابل ما يحدث لها حتى وإن كان فوق طاقتها واحتمالها»² تظل المرأة مكتومة الصوت، وتخفي آلامها، أمام المعاناة والمآسي التي تعيشها وحتى إن فاق طاقتها واحتمالها.

تعرضت فاطمة للإستغلال، والإستلاب من طرف الذكور، كما أنها لقتة أيضا من حمايتها وإبنتها، فهما يسمعانها كل أنواع الشتائم «كلما عدت إلى المنزل بعد العمل وجدت ثلاث إرهابيات في انتظاري، فأمه لا تكفي عن معايرتي، وتحميل مسؤولية كل الأعمال المنزلية بحجة أنني عاملة، وأن حفيظة وحميدة تعتنيان بالبيت في غيابي، فإذا ما وصلت توقفتا عن كل شيء، وأجد أواني الغذاء تنتظرنني، وغسل ملابس هذه العجوز المربعة التي، لا تفعل شيء سوى الأكل والنوم على كنبتها، وإصدار الأوامر للجميع»³ فاطمة تأتي من العمل متعبة ومنهكة، لتقوم بكل الأعمال المنزلية، وكأنها آلة تقوم بكل شيء، وأن حفيظة تترك لها كل أشغال البيت بحجة أنها تقوم برعاية أولادها.

تتحمل فاطمة كل المعاناة، التي تمر بها يوميا، وكل الشتائم التي تسمعها من حمايتها «عدت أيضا إلى الشجارات اليومية، فلا يكاد يمر يوم بسلام، حتى تثير حمايتي وإبنتها

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 137-138

² - عصام واصل: الرؤية النسوية العربية، مساعلة الأنساق وتقويض المركزية، ص 66.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 142.

وزوجة فاتح مشكلة ما، وفي كل مساء تقريبا إما آخذ توبيخا أو ضربة، فناصر لا يحاول أن يفهم، ويكفي أن يسمع أصواتنا ترتفع أو تشكيني له أمه، حتى يجرتني من شعري وأمام أولادي، ويضربني كمن ينتقم من عدوّ¹ فكلّ يوم تخلق حماة فاطمة وابنتها مشاكل، لكي تتعرض فاطمة للضرب أو التوبيخ من ناصر، ودائما هي المخطئة وهي السبب في المشاكل، ويجب أن تخدمه في كل شيء وبصمت.

هضم الرجل شخصية المرأة وأهانها وسلب حقوقها، واتخذها وسيلة لخدمته «المرأة خاضعة لحكم القوة مغلوبة لسلطان الاستبداد من الرجل، وهو لم يشأ أن يتخذها إلا إمرا صالحا لخدمته مسيرا بإرادته² إنَّ الرجل تحكّم في المرأة، وجعلها تحت سيطرته، وأنه «يعتبر المرأة دمية من عجين يؤذيها، ويرميها فيمحو معالمها³ المرأة مجرد دمية يستخدمها الرجل متى شاء ومتى أراد، ويتلاعب بمشاعرها، ويستلب حقوقها وهويّتها، وناصر جرد فاطمة من حريتها، وكأنها عبدة في البيت لا تصلح سوى لأعمال البيت والإنجاب «أعمل كالعبيد، أنجب كالألة، وأعيش على هامش الحياة⁴ فاطمة تعمل كالعبيد وأنها آلة للتفريغ وتعيش مقمعة ومقهورة في هامش الحياة، ذليلة خادمة للرجل، وتعتبر مجرد لعبة جنسية يلهو بها الرجل ويرميها إذا أراد.

عاشت فاطمة حياة المهانة والعذاب، ولم تذق طعم السعادة في حياتها «خمس سنوات من القهر لم أشك فيها لوالدي همي، حتى لا أعذبهما، لكن آثار جروحي الجسدية والنفسية توحى بكل شيء، أخبرتهم أنني من يوم تزوجت لم أعش لحظة هنيئة، وأني لم أقبض يوما دينارا من مالي، ولا رأيت من زوجي هدية، وأنه يضربني يوميا تقريبا بسبب

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص73.

² - قاسم أمين: تحرير المرأة، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر 2012، ص21.

³ - بثينة شعبان، 100 عام من الرواية النسائية العربية، ص106.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص148.

أو بدونه، وأنّ في بيتي ثلاث غولات وأحياناً تأتي رابعة يتربصن بي في كلّ زاوية»¹ خمس سنوات من العذاب والقهر عاشتهما فاطمة، منذ زواجها لم تحظ بحياة سعيدة، وإنّها عرفت فيه فقط الضرب والشتم من قبل زوجها أو من قبل أخوات ناصر اللواتي يترقبنها ويحتقرنها «من وضع هذه القوانين البائسة التي جعلت المرأة تحت رحمة أزواج لا رحمة في قلوبهم؟!»² كرهت فاطمة كلّ القوانين التي أعطت الأولوية للزوج، في أن يتحكم في المرأة وأيّ أزواج، أزواج بلا رحمة ولا شفقة عليها.

يقوم الرجل باستغلال المرأة واضطهادها، وحرمانها من حقوقها «ما زلت طبلًا يضرب عليه ناصر، حسب إيقاعات غضبه، وما زلت العبد الضعيف، الذي يعمل ولا يؤجر والزوجة الوفية المطيعة بجسدها الخائنة بقلبها، وما زال ناصر يضربني كالمعتاد بسبب أو بدونه»³ فاطمة كالتّبل يضرب عليه ناصر متى شاء، وما زالت تخضع للضرب كالمعتاد بسبب أو بدونه «فشدني من شعري ورماني ليردني الجدار، الآن أصبح لديّ ابن يضربني، لقد اكتملت المأساة»⁴ فاطمة لم تتخلّص ولم تتحرّر من معاناتها، التي تعيشها يومياً من قبل زوجها ناصر، وها ذا ابنها محمد يفعل الشيء نفسه، وهذا ما زادها ألماً.

كانت المرأة ضعيفة، عاشت مهانة وذليلة في المجتمع «الجبان يعيش ذليلاً، والنساء مثيلاتي ممن يؤمن بستره الزوج، هنّ في الحقيقة من يسترن أزواجهنّ من الفضيحة أمام الملاء، لكن الرجل لا يعاب في مجتمعنا وسيقال إنّه رجل مهما فعل، فإذا سرق فهو رجل، وإذا إغتصب فهو رجل وإذا قتل فهو رجل! فما أدراك إذ ضرب زوجته أو أخته لا شيء يسقط تاج الرجولة من فوق رؤوس رجالنا مهما فعلوا»⁵ إنّ النساء الضعيفات يعشن دائماً

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 156.

² - المصدر نفسه؛ ص 166.

³ - المصدر نفسه؛، ص 167.

⁴ - المصدر نفسه؛، ص 220.

⁵ - المصدر نفسه؛، ص 211.

تحت سترة الزوج أو تحت هيمنة الذكر، وأتھنّ يعشن ذليلات «ما أصعب أن تكون المرأة امرأة»¹ من الصّعب أن تعيش المرأة حياتها في مجتمع ذكوريّ، يتحكّم فيها كجهاز إذ ما وجّھها خدمته، وأنّ «الثّقافة الذّكورية لم تستوعب بعد أن كلّما ضاقت حرية المرأة وكلّما كانت معنّفة نفسيّاً وجسديّاً كلّما أصبحت غير قادرة على العطاء»² المجتمع الذّكوري قهر المرأة واستضعفها وسلب منها حريّتها، يسيّرھا كما يشاء فبالنسبة له الخادمة والجارية له.

1-6-صورة المرأة الأم:

تعتبر الأم هي منبع العطف والحنان، ولها فضل عظيم، ودور كبير جدّاً في حياتنا، وهي الرّوح التي تنشأ بها الأسرة والمجتمع جميعاً، وتكرس حياتها من أجل بيتها، وأطفالها وعائلتها ولا تمل من كثرة الشقاء والعناء، وقد أتت الإسلام على الأم ودعا لبرّها واحترامها وأعطى لها قيمة، ونهى الأبناء عن النّفوه بكلمة موحشة تسيئ إليها، وتؤثّر في نفسية الأم وعدم الاستهتار والتكبر إتجاهها، لأنّها هي من تتجب وتربي وتضحّي من أجل أولادها.

إنّ الأم في رواية "تشرفت برحيلك" هي الأمّ الحنونة والعطوفة الحامية لأولادها، وفاطمة أم لأربعة أطفال، تسهر على راحتهم ورعايتهم وحمائتهم من رجل أنكر دوره كأب، ففاطمة تقوم بكلّ واجباتها عليهم، رغم كلّ المعاناة والمآسي التي تعيشها يومياً «تقوم الأمّ بإنجاب الأبناء ورعايتهم، وتتركز أهميّتها على هذه النقطة، وكثيراً ما تقترن بجملة من الأبناء والبناء»³ المرأة بعد الزّواج تتجب الأطفال وتكرّس كلّ وقتها في تربيّتهم وتعليمهم، وتحرص عليهم من الأمراض، وتخاف عليهم من كلّ سوء أو أذى يصيبهم، وتدافع عنهم «ما كانت أمّي لتتخلى عن دفاعها عن أولادها مهما حدث»⁴ إنّ أمّ فاطمة لا تحبّ أن يسيئ أحد إلى

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص224.

² - لقاء صحفي: قناة France 24، تاريخ: 14-4-2017، ساعة: 14:15 من موقع <http://f24.my/youtubeAr>

³ - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص158.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك: ص45.

أولادها، فهي بمثابة محامية دفاع لهم، ولن ترضى المساس بهم أو بكرامتهم، فالأمّ كالحيوان المفترس، تفترس كلّ من يقترب إلى أولادها من قريب أو من بعيد.

تتحمل فاطمة كل الكلام الفاحش من إهانة وشتم، من طرف حمايتها وحفيظة، التي ترعى أولادها غصبا عنها و دون إرادتها «ترعى حفيظة أبنائي أثناء غيابي رغما عنها بأمر من ناصر، وقد طلبت منّي أجرا على رعايتهم ووجهتها إليه لأنّه القابض لمالي، وقد أسكتها ما إن تكلمت وعرف سؤالها، وتعايرني دائما بأنني ألث في الطرقات، وأترك أولادي طوال النهار بلا رعاية، وحماتي مثلها تكرر نفس الكلام: إبنتي ليست خادمتك، إذا اضطررنا سنربي ابن إبني فقط أمّا إبنتاكي فالتدبري أمرهما»¹ فاطمة تترك أولادها عند حفيظة عندما تذهب إلى المدرسة وهذا بأمر من ناصر، إلا أنّها لا ترضى برعايتهم دون مقابل بل طلبت أجرا مقابل ذلك، وفاطمة لا تملك مالا، فقد إستحوذ عليهم ناصر.

بدأت حفيظة تعابير فاطمة وتشتمها، بأنّها لا تستطيع تربية أولادها، وتتركهم بلا رعاية وتزيد حمايتها الطين بلّة بدفاعها عن إبنتها، وهي غير راضية أن ترعى أولاد فاطمة إلا محمدا، لأنّه المحبوب لديها ولدى عمّته، وفاطمة تبقى صامته ولا تستطيع البوح بأيّة كلمة، فمن أجل أولادها تتحمل كلّ شيء «إذا كانت أمومة المرأة شيئا هاما وأساسيا، فإنّها ليست ضدّ أن تمارس حقوقها وأعمالها الأخرى»² تهتم المرأة بأولادها وترعاهم، وتؤدّي بكلّ واجباتها نحوهم ونحو أسرتها، إلا أنّها هي أيضا لديها حقوقا وأعمالا تقوم بهم «في كلّ مساء أعود من العمل منهكة كمن يعود من حساب يوم القيامة، وفي البيت تنتظرنني أعمال لا نهاية لها وشكاوي وشجارات، وهذه المرّة سيتطور الوضع لأخطر، كمرّة كنت أرد الضرف، كما يقال لحفيظة ولحميدة على عدم غسلهما أواني الغداء وعدم إعداد العشاء وانتظار قدومي لأفعل كلّ شيء، وتدخلت حماتي بجملتها المعتادة: نربي أولادك وتفتحين

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 150-151.

² - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص 158.

فمك»¹ فاطمة تتركس حياتها وتتحمّل معاناتها وآلامها، كما أنّها تتحمّل تصرفات حفيظة تعمل فاطمة كالعبيد تربي أولادها.

تقوم فاطمة بأشغال البيت مهما كانت متعبة، وتصمت على كلّ ما يقال لها فقط من أجل أطفالها «فأنا مضطّرة لترك الأولاد عندهما أثناء غيابي، وسأدفع ضريبة تلك كلّ يوم، وبحجّة أنّ لا وقت عند حفيظة للطبخ، والغسيل بسبب الأولاد، عليّ القيام بكلّ شيء بمفردي أطبخ لليوم الموالي غداءهم كلّهم جميعاً، وأنجز جميع الأعمال مسبقاً ولاحقاً»² فاطمة مجبرة على القيام بأشغال البيت كلّها وهي راضية بذلك من أجل أولادها.

2-المبحث الثاني: المخلفات الإجتماعية والنفسية التي تعاني منها المرأة نتيجة الإرهاب:

2-1-المخلفات الإجتماعية:

عاش المجتمع الجزائري فترة عصيبة نتيجة الإرهاب الذي عصف بالأمة، فأصبح مريضاً يفرض على المرأة، أن تلتزم بما يفرضه المجتمع دون رغبة منها «إستغلال المرأة، واضطهادها، بأساليب عنف عديدة أهمّها الضرب، الإغتصاب، بذاعة القول، وسجنها في البيت، ومصادرة رأيها، إلخ، لتغدو هذه المرأة على هذا النوع مجرد سلعة في يد الرجل المهيمن عليها سواء أكان أباً، أو زوجاً، أو أخاً، أو ابناً...الخ»³ فجعلوا من المرأة ضحية يمارسون عليها كلّ أنواع العنف المعنوي واللفظي والجسدي.

خلف الإرهاب الكثير من الجرائم في المجتمع كالقتل والإغتياالات «يومياً يتحدث التلفزيون الجزائري عن أخبار الإشتباكات والإغتياالات، التي تزايدت وإرتفعت حدتها، حتّى فرض حصر التّجول، وهذه الإشتباكات جعلت الجزائر حسب ما قاله المراقبون تعيش حرباً

¹- فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص152.

²- المصدر نفسه؛ ص143.

³- حسين مناصرة: قراءات في المنظور السردى النسوي، ص10.

أهليّة مقنعة»¹ تنقل قناة اليتيمة، المخلفات التي ترتكب في الجزائر، من قبل الإرهاب الذين يعتبرون من أفراد المجتمع «ومع تزايد المجازر وإنفجارات القنابل، ووصول أخبار الموت من كل الجهات لم يعد للحياة أي طعم، حتى بوجود الحب، فليس باستطاعة الحب رغم قواه العجيبة أن يجعل الحياة التي يذبح فيها الناس ذبحة من الوريد إلى الوريد»² كل يوم تزداد الخراب والمجازر والإرهاب يذبحون الناس بلا رحمة، ودمروا كل شيء في المجتمع.

دمر لإرهاب نفسية الشعب الجزائري، وخلف فيها مجازر عدّة كالخراب، الذبح والقتل ينشئون حاجزا مزيّفا من أجل اصطياد الأبرياء «سوف تنتقي نماذج مما تبثه التلفزة الجزائرية من أخبار القتل والإغتيالات في الجزائر، وهي نماذج منتقاة من آلاف الأخبار الصاخبة بهذا الخصوص»³ هناك العديد من الأخبار، التي يشاهدها الناس عبر التلفاز تكشف فيه الخراب، الذي يعيشه المجتمع «مجموعات بشرية يحركها الخوف والحفاظ على الحياة التي أصبحت تحت وطأة بشر جرد من الإنسانية»⁴ أصبح الجزائريون يخافون على فقدان حياتهم، لأنّ الإرهاب لا يرحم أبدا «موجة الإرهاب تزداد وترتفع وملاحم المجتمع الجزائري تنحو نحو التغير، ملابسه، عقليته، عاداته، يومياته، كل شيء يتغير نحو الإنغلاق والقبج والتعصب، العنف ينخر البلاد يوما بعد يوم»⁵ تحوّل المجتمع إلى بركان تائر يحرق أفراداه، فتحوّل من الأحسن إلى الأسوء، فلا يعيش الفرد حياة عادية.

يمارس الإرهاب شتى أنواع العنف، لأنهم طائفة مزيّفة في المجتمع حرمت على المرأة كل شيء «ستموت تدريجيا، موتت أسوء من تلك التي مات بها عريسها لا أعراس بقيت،

¹ يحي أبو زكريا: الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، ط1، مؤسسة العارف للطبوعات، بيروت1993، ص91.

² فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص46.

³ يحي أبو زكريا، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، ص92.

⁴ سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، د ط، دار الفراشة للطباعة والنشر،

الكويت2008، ص77.

⁵ فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص141.

لا أفراح ولا حب [...] بدأ الإرهاب يقضي على أشكال الحياة»¹ كلّ جميل في الحياة حرموه وقبحوه، فأصبحت الحياة لا تطاق، وبعض الأحاب يقتلون قبل يوم، أو يومين من الزواج، «كلّ ما في هذا البلد غرّبوه وخرّبوه، اللّباس والتّعليم، والإعلام والألسنة والمعاملات»² فقاموا بتدمير كلّ ما في البلد سواء في اللّباس الذي أصبح الرّجال يلبسون القميص، والنّساء يلتزمن الحجاب، والتّعليم مقتصر فقط على الذّكور، أمّا الفتيات فممنوع عليهنّ الخروج .

تزداد موجة الخوف والرّعب كل يوم في المجتمع والإعلام أصبح يبثّ فقط أخبار المجازر «وللتّدايل على خطورة الوضع الأمني في الجزائر تسرد هنا بعض ما تسمح السّلطة الجزائرية بالإعلان عنه من خلال الوسائل الإعلامية الحكومية، وهي قليل بالمقارنة مع حجم الأحداث الدّموية في الجزائر»³ حالة الجزائر تزداد تأزّماً، وما يبثّ في التّفاز، قليل بالموازاة مع ما هو موجود من ضحايا القتل «الآن انكسرت قلوبنا جميعاً، لا حب، ولا فرح، وحده الموت يحلق في كلّ مكان، ليخطف من كلّ حبيب حبيبته، ومن كلّ بيت واحد، أو اثنين، أو ربما أكثر، تطرّف الإرهابيين بلغ أقصاه، والجزائر تتوجّع في عالم لم يستوعب بعد معنى الإرهاب»⁴ ففي كلّ بيت يُقتل بعض أفرادها، لا عائلة تعيش بسعادة.

يتوجّع المجتمع الجزائري، جراء ما يحدث في البلاد، من حزن وخراب «ما هذه الأيّام العصيبة، الموت يزور بيوت الجزائريين بيتاً بيتاً، ولا أحد يعلم متى سيصل دوره»⁵ الخوف الخوف يعمّ الأجواء والقتل يسكن البيوت لا أحد يعرف من سيكون التّالي «الإرهاب يضرب أحياناً بل في أغلب الأحيان عشوائياً، لكي يهدّد المجتمع، ويرعب الناس»⁶ يضرّبون دون

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك: ص 93.

² - سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص 21

³ - يحي أبو زكريا: الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، ص 91.

⁴ - المرجع نفسه، ص 149.

⁵ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 94.

⁶ - عبد الحسن شعبان: التطرف والإرهاب، د ط، مكتبة الإسكندرية، مصر 2017، ص 23.

تخطيط مسبق، لزرع الخوف في النفوس «لا يفرق فيه الإرهاب بين الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، عندما يمارس عملياته أو تفجيراته، أو إغتيالاته في المجتمع»¹ يقومون بعمليات السفك والدمار، فهم عقّدوا الشعب وأرجعوه مريضاً «إنّ القوّة المسيطرة هي المحرّضة على كلّ شيء بما في ذلك آثار التخريب والعنف التي هي من نمط الخداع، والأسوء»² الإرهابيون يحرضون الشباب على العنف ضدّ المرأة سواء الأخت، الزوجة أو الإبنة.

2-2- المخلفات النفسية:

تعتبر العشرية السوداء من أصعب الفترات التي عاشتها المرأة عامة، وبطلة الرواية خاصّة، فرواية "تشرفت برحيلك" لفيروز رشام" سردها امرأة تتحدث عن قصّة حياتها، وتبيّن الخوف والقلق الدائم والمعاناة، التي عاشتها جرّاء الكبت والصمت، والقمع الذي مورس عليها حتّى أنّها أصبحت تشعر بالضيق والإختناق، وحالتها النفسية تزداد تأزماً جرّاء كبتها، وحرزها المتواصلة عليها.

تواجه المرأة عدّة مشاكل، تجعلها ضعيفة مكتومة الصّوت والمشاعر، تعيش في خوف ورعب «شعرت وأنا أحضر حقيبي بمزيج من الخوف والإطمئنان، ما أسوأه من إحساس عندما تشعر بفقدان الأمان في المكان الذي يفترض أن يكون هو بيت الأمان»³ فاطمة دائمة الخوف، بسبب أخويها فهي تعاني معاناة مزدوجة إرهاب في الخارج، وإرهاب في البيت، المكان الذي يفترض أن يكون فيه الإطمئنان والرّاحة النفسية «يتجاوز العنف الجسد إلى النّفس حيث تهدر الكرامة، ويتحقّق القهر والظلم، ويكلّ تأكيد يكون تأثير العنف

¹-حسين مناصرة: قراءات في المنظور السردى النسوي، ص33.

²-جان بوديار، تر: بدر الدين عمر زكي، روح الإرهاب، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2010، ص65.

³-فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص61.

النَّفسي أشدَّ تأثيراً من العنف الجسدي»¹ فالإنسان المعنّف جسدياً، تختفي آثار العنف بمرور الوقت، أمّا المعنّف نفسياً ولفظياً فهي صعبة الزوال، لأنّها تظل محفورة في النفوس.

إنّ غاية الإرهاب هو خلق جوّ معقّد يظمّ الخوف، والقلق الدائم «المخاوف المكبوتة التي لا يعترف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء، أو الأقدار، أو سواء الطالع وذلك تنزيهاً لنفسه وتخفّفاً ممّا يشعر به من القلق، أو الخجل، أو النقص، أو الدين»² فتخاف المرأة على نفسها جراء ما يصيبها من تعذيب نفسي من معرفة الآخر بجروحها، وحتّى وإن علم بها فغاية الإرهاب هو تدمير المشاعر «تخدّرت حواسي وأحاسيسي، وما عدت أستجيب لشيء مؤلم أو مضحك، حلو أو مر وحتّى الموت الذي تمنّيته لم يتحقّق»³ الأزمات المستمرة والمتوالية لفاطمة ودون توقّف جعلت أحاسيسها وشعورها ونفسيها متعبة فتصيبها أزمات نفسية بسبب الخلجات والعقد التي تؤدّي بها في حالات كثيرة إلى المرض.

استيقظت فاطمة ذات يوم على بكاء ابنها إلا أنّها لم تستطع الحراك والنّهوض إليه «مشدودة الأطراف، هزني دون أن ينظر إليّ في البداية، وفي اللحظة التي رأى فيها فمي معوّجا نحو جانب واحد، وعيني مغمضة، وخدي مدفون لا حراك لي يمينا وشمالا، أدرك وقد أدركت قبله أنّي شللت»⁴ أصيبت فاطمة بشلل نتيجة الكبت المستمر والضرب المبرح، وبسبب التراكبات النفسية «المشاعر السلبية والرغبات المكبوتة والمحسورة في النفس الداخليّة، تملك قدرة انفجارية قويّة بحيث لا يمكن تجاهلها لفترة أطول إذا لم تنصت لكلماتنا الداخليّة فسوف نختنق بها»⁵ فالمكبوتات إذا لم تنزل، ولم تخرج من النفس ستصبح عقد نفسيّة، قابلة لإنشاء عدّة أمراض «إنّ الضحايا الحقيقيين للإرهاب ليس الذين ماتوا،

¹ - حسين مناصرة: قراءات في المنظور السردي النسوي، ص25.

² - أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ط7، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1968، ص478.

³ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص172.

⁴ - المصدر نفسه؛ ص172.

⁵ - عفاف محفوظ: النساء والتحليل النفسي تر: عايدة سيف الدولة، ط1، مؤسسة المرأة والذاكرة، دب 2016، ص153.

إنما الذين بقوا على قيد الحياة»¹ إنّ الأحياء يكونون دائمي الخوف على حياتهم وما يحدث يتعدّبون ويعيشون في حالة رعب وقلق.

صادفت فاطمة العديد من المشاكل في حياتها «أنا أبكي من حروقي النفسية التي لا دواء لها ولا شفاء»² فحروقها النفسية في تزايد، وتتراكم في النفس «اللاشعور هو الخزان الذي تتجمّع فيه الرغبات المكبوتة أو المخاوف التي هزت كيان النفس في السنين الأولى من حياة الإنسان أو الآمال التي لم يسمح لها نظام المجتمع، وقيود الحياة الإجتماعية بالتحقق»³ إنّ اللاشعور هو ملجأ المكبوتات التي تكون في النفس، فتجتمع فيه لتسبّب آلاما للمرأة كونها غير قادرة على تجاوزها، والكبت المستمر والمتواصل ينجم عنه آلاما كثيرة، وجعلت المرأة ضحية لتلك المكبوتات.

كان موت والد فاطمة كالصّاعقة بالنسبة لها، إلى درجة أنّ قلبها كاد يتوقّف من شدّة حزنها عليه، فشكّلت تلك العقد من ثنائيات عدّة كثنائية القلق والحزن «قلق داخلي المصدر لكنّ الفرد لا يعرف له أصلا ولا يستطيع أن يجد له مبررا موضوعيا أو سببا صريحا واضحا، فهو خوف أسبابه لا شعورية مكبوتة، ثمّ إنّ قلق تثيره مثيرات غير كافية، فإنّ كانت المثيرات كافية بدا الخوف عنيفا مشنّطا مستمرا»⁴ القلق والحزن، ناتج عن أسباب غير معروفة في بعض الأحيان تصيب المرأة، ولا تعرف لماذا «سهو، نسيان، قلق، أرق، كوابيس، أضغاث أحلام، بإختصار أنا لست بخير لأنني لم أتصالح بعد مع ماضي ومع

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص94.

² -المصدر نفسه؛ ص161.

³ - محمد رياض وتار: شخصية المتقف، ص144.

⁴ - أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ص494.

نفسية»¹ الحالة في تزايد، وفي تواصل لأنّ النفس تحتاج إلى شيء أو خبر سار، أو حالة شعورية سعيدة تخرج المرأة من تلك الحالة لتكون أفضل.

قاومت فاطمة بكلّ الطّرق لكي لا تعيش حياة معقّدة «تعيش حالة نفسية صعبة إضافة إلى التناقض والشقاء الداخلي والفضّل العاطفي والروحي»² متعبة نفسيًا وعاطفيًا، فتعيش أيضًا ثنائية الفراغ النفسي والعاطفي، ففي بومرداس عاشت حياة خالية، إلاّ أنّ طارق كان يملأها، أمّا بعد زواجها عاشت فراغ نفسي وعاطفي كبير، نتيجة الحنين والشوق إلى طارق، وتحن إلى الأيام، التي عاشتها معه وهذا كلّه مكبوت في صدرها «الكبت حيلة كلّ أنا ضعيف لذا فهو حيلة عادية في عهد الصّغر، لكنّها غير طبيعيّة في عهد الكبر، ومع هذا فكأننا يلجأ إلى الكبت بمقدار، والكبت كغيره من الحيل الدفاعية، يحتمل أن يصبح من قبيل العادات السيئة الثابتة، إن أسرف الفرد في الإلتجاء إليه في طفولته، بعد أن وجد فيه مخرجًا من مشكلاته وأزماته النفسية»³ فالكبت له حدود وإن تجاوزت الحد المطلوب، صار عقدا تؤثر على صاحبها سلبًا وبطريقة سيئة وتنشأ أمراض كالجنون، السكّنة القلبية وغيرها.

أصيب المجتمع الجزائري بعدة عقد نفسية جرّاء الإرهاب «لقد أدّى الكبت والقهر إلى ارتفاع رهيب للمجانين والمعتوهين، ومرضى السرطان، والسكّنة القلبية، والجلطة الدماغية والسكري والضعف ونقص الحبّ وضعف الثقة والجوع الجنسي، والحرمان العاطفي، وألاف الأمراض التي لا نعرف بعد كيف نسمّيها»⁴ فكلّ الأمراض النفسية نتيجة للكبت الذي أدى بعدد كبير من أفراد المجتمع إلى الجنون والقهر النفسي «تزايد عدد المجانين في الجزائر بشكل رهيب، إنهم ضحايا الإرهاب على أشكاله، إرهاب السّلاح، وإرهاب العواطف»⁵ حُرب

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 235.

² - محمد أحمد القضاة: صورة المرأة في الرواية والقصة القصيرة النسوية الأردنية، ص 53.

³ - أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ص 476.

⁴ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 201.

⁵ - المصدر نفسه؛ ص 128.

المجتمع بطريقة غير معقولة، وليس بمقدوره تحمل ذلك الوضع «الشيء الوحيد الذي عرفته طوال عمري هو المعاناة، لم أكن أتصوّر إمكانية العيش بدونه حين لم أكن أعاني، لم أكن أشعر بأنني أعيش، هذا ما تصوّرت أنه معنى الحياة، ليس الواقع الحقيقي، وإنما فقط الواقع النفسي الخاص بي مليء بالرعب والوحوش والسرطان، أشعر وكأنني لم أعش حياتي»¹ أصبح الحزن والمعاناة والخوف ملازم المرأة في حياتها، التي لا تتغير والمعاناة تزداد لأن حالات الموت والمرض جعلت من حياتها متأزمة.

تزداد المصائب وحالات المرض والموت، جعلت حالة فاطمة متأزمة، وحجم الخراب النفسي كبير، فهي تعرّضت لشتى أنواع القهر النفسي والاجتماعي «إبحثي عن طريقة ما لتخفّفي عن نفسك عدا البكاء طبعاً، حاولي أن ترسمي أو تكتبي، أو تغني أو ترقصي، إفعلي أي شيء لكن لا تبقي مكبوتة هكذا»² وللخروج من تلك الحالة الصعبة المعقدة عليها أن تقوم بعمل تحبه، لتعبّر عن مكبوتاتها المخزونة لمدة طويلة.

لجأت فاطمة للكتابة لتتخلص من حالتها النفسية المتضررة «الكتابة في حدّ ذاتها هي علاج، وهي تيرابي بمعنى ليس بالضرورة أن تكون أدبية أو غير أدبية، وشخصية فاطمة في نهاية المطاف قامت بكتابة سيرتها الذاتية وشعرت بأنها تحسنت نفسياً، أنا أتحدّث أيضاً عن جيلنا، هذا الجيل الذي خرج من العشرية السوداء مصدوماً، فلم يستطع التعبير لا أثناء تلك العشرية، ولا في السنوات التي بعدها، فقدنا التوازن، ونحن الآن بحاجة للكتابة عن الموضوع لتعبّر عن رأينا فيما حدث، وأيضا لنستعيد بعض توازننا النفسي، لأنّ الكبت دائماً يوّلّد المزيد من التّعقيدات، ويصعب الأمور، فالموضوع الذي يحكى ويكتب فيه، لا يصبح عقدة في الحقيقة»³ إختارت فاطمة الكتابة لتعبّر عن نفسها، وتتجاوز حالتها

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص152.

² - المصدر نفسه: ص235.

³ - لقاء صحفي، قناة France 24، تاريخ: 14-4-2017، ساعة: 14:15 من موقع <http://f24.my/youtubeA>

النفسية الصعبة، ولتحرّر من تلك القيود المفروضة عليها، من قبل المجتمع وتتجاوز أيضا كلّ العقبات، التي لم تسمح لها بأن تكون سعيدة في حياتها.

عاشت معنفة منذ صغرها، وما تحتاجه الآن هو شيء يخرجها من حالتها المكتئبة «يمكنني القول الآن بأنني تصالحت مع نفسي ومع تاريخي، وبأنني تعافيت منجل أمراض نفسيّة والعقليّة والجسديّة، وما داوتني العقاقير الكيميائيّة ولا الجلسات النفسيّة، إنّما داوتني الكتابة! ومعجزة المعجزات كلّها، إنّها ساعدتني على الشفاء من السرطان»¹ فبعد طلاقها اتجهت إلى الجزائر، بدون أيّ دعم مادي ولا معنوي، منكسرة ومقهورة، فتحدّثت تلك العقبات وحاولت إنشاء طريقها المحفوف بالمخاطر، إلّا أنّها استطاعت التغلب عليها ونجحت بفضل الكتابة التي عالجتها من كلّ الأمراض التي عاشتها وكسرتها، فكانت الكتابة خير علاج وخير دواء، إستطاعت به التعبير عمّا يؤلمها لتتخطّى بها كلّ الآلام.

¹ - فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ص 241.

خاتمة

الخاتمة:

نختم بحمد الله عزّوجل موضوع بحثنا هذا، بعد مسار طويل وشيق تطرّقنا فيه إلى كل ما يتعلق بصورة المرأة وقضاياها في مدونتنا تشرفت برحيلك، حيث أشرنا إلى بعض النقاط الأساسية التي رأيناها في صلب موضوعنا هذا، وأنها نختمه بمجموعة من الملاحظات والنتائج التي توصلنا إليها:

- إنّ الكتابة النسوية الجزائرية العربية ظهرت متأخرة في الساحة الأدبية، وهذا راجع إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي شهدتها المجتمع الجزائري.
- نستنتج من خلال عنوان الرواية "تشرفت برحيلك" أنّ المرأة الجزائرية عانت وصحّت بأعز ما تملك من أجل استعادة فرحتها وكرامتها والعيش في كنف الحرية.
- نستخلص أنّ مدونة "تشرفت برحيلك" تحاكي الواقع المعيش في المجتمع الجزائري في فترة التسعينات، وكانت مرآة صادقة لمعاناة الشعب، كما سلطت الضوء على معاناة المرأة على وجه الخصوص، التي تعرضت للظلم من طرف الإرهابيين المتطرفين.
- إنّ المرأة تعاني معاناة مزدوجة، معاناة المرأة المحاطة بسياج ذكوريّ ليس لها دور غير الإنجاب والأعمال الشاقة التي ترهقها صباحا ومساء، ومعاناة أخرى تخنق أنفاسها وهي ما تعيشه من دمار ومآسي يوميا بسبب الإرهاب.
- تُظهر الروائية إشارات بالغة الأهمية لتفسير ظاهرة السلطة الذكورية، إذ لا همّ لهم غير إشباع غريزته الجنسية، وأنها خلقت فقط لتكون له لخدمته وطاعته.
- تبين الرواية حجم الخراب النفسي، والاجتماعي، في فترة العشريّة السوداء، حيث شهدت تغلغل التطرف، والإرهاب اللذان أحدثا خلخلة رهيبية في المجتمع الجزائري.
- جسدت الرواية أنواعا من العنف المسلّط على المرأة الجزائرية، في فترة العشريّة السوداء من عنف لفظي، حيث تعرضت لمختلف الشتائم، والعنف العاطفي كحرمانها

من إختيار شريك حياتها وتزويجها بمن تحب، والعنف الجسدي وهو الأهم والأخطر

لما تتعرض لها المرأة من شتى أنواع الضرب (ركل، ضرب والشّد من الشّعْر)

• بيّنت الكاتبة الفهم السيئ للدين من طرف المتطرفين، إذ كانوا لا يفقهون في الدين شيئاً، وجعلوه وسيلة لتحقيق أغراضهم وأهدافهم الشخصية، وبالتالي حاصروا المرأة وجعلوها مكبلة مقيدة بمعتقداتهم وفهمهم الخاطيء للدين.

• كتابة المرأة عن ذاتها هي بمثابة تجربة هادفة ورسالة تسعى من خلالها للتحرّر من القيود البالية التي فرضت عليها، واتخاذها مجرد سلعة رخيصة أو دمية لسدّ غريزته الجنسية، فهي كتبت رغم تلك القيود التي حاصرتها لتكسر أغلال التخلف، وتجاوز المعتقدات الدينية الخاطئة، وتخرج من بقعة الظلم الممارس عليها، وتوظف وعي النساء للخروج من سيطرة الرجل والتحرر من خوفهن وكشف المسكوت عنه.

• خلّفت العشرية السوداء في المجتمع الجزائري عقد نفسية واجتماعية نتجت عنها عاهات وعلل أثرت تأثيرا سلبيا في المجتمع.

• كشفت الروائية "فيروز رشام" عن مشكلات المرأة في المجتمع الجزائري في فترة العشرية السوداء، من القهر والحرمان الذي عانت منه من طرف المجتمع الذكوري سواء كان أبا، أو أخا، أو زوجا، حيث قيّدوا حريتها وأصبحت محصورة بين ظلم العادات والتقاليد المسيطرة عليها والفهم الخاطيء للدين.

وفي الأخير نحمد الله الذي وفقنا لإنهاء هذا البحث، الذي ركزنا على الحديث عن صورة المرأة الجزائرية في فترة التسعينات من خلال رواية تشرفت برحيلك فلا نزعم بأننا جننا بجديد لم يسبقنا إليه أحد، ولكن نأمل بأننا فتحنا طريقا لبحوث تكون أكثر تفصيلا وتخصيصا في هذا الموضوع، وفي الأخير نكرر شكرنا للأستاذة المشرفة على متابعتها لهذا البحث وللجنة المناقشة التي قبلت تصويب أخطاء بحثنا هذا.

قائمة المصادر والمراجع

-قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

1-المصادر:

1-فيروز رشام: تشرفت برحيلك، ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن 2017.

2-المراجع:

1-أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، ط7، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1968.

2-إدوارد سعيد، صور المثقف، د ط، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت 1994.

3-أمين قاسم: تحرير المرأة، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر 2012.

4-أنا دنيا: المرأة والحب، تر: كلير فهيم، د ط، دار المعارف، مصر 1980.

5-باديس فوغالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر، ط1، منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر 2002

6-باسمة كيال: سيكولوجية المرأة، د ط، مؤسسة عز الدين، بيروت 1986.

7-بام مورييس، تر: سهام عبد السلام: الأدب والنسوية، ص1، المجلس لأعلى للثقافة، القاهرة، 2002

8-بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، ط1، دار الآداب، لبنان 1999.

9-جان بوديار: روح الإرهاب، تر: بدر الدين عمر زكي، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 2010.

قائمة المصادر والمراجع:

- 10- جولييت منس: المرأة في العالم العربي، تر: إلياس مرقص، د ط، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت 1980.
- 11- جيرمين غرير: المرأة المخصصة، تر: عبد الله بديع فاضل، ط1، دار الرّحبة للنّشر والتّوزيع، سوريا 2014.
- 12- حسين مناصرة: النّسوية في الثقافة والإبداع، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن 2008.
- 13- حسين مناصرة: قراءات في المنظور السّردي النّسوي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن 2013.
- 14- سارة جامبل: النّسوية وما بعد النّسوية، تر: أحمد الشامي: ، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2002.
- 15- سعاد عبد الله العنزي: صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دط، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت 2008.
- 16- سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية، د ط، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، د س. --
- 17- إمام عبد الفتاح إمام: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، د ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت د س.
- 18- سعيدة بن بوزة: الهوية والإختلاف في الرّواية النّسوية في المغرب العربي، ط1، دار نينوي للدراسات والنّشر والتّوزيع، سوريا 2016.
- 19- شريف حبيلة: الرواية والعنف، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.

قائمة المصادر والمراجع:

- 20- صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 2009.
- 21- عادل صادق: الحب والغيرة، ط1، دار الشروق، القاهرة 1993.
- 22- عادل صادق: الطلاق ليس حلا، د ط، دار أخبار اليوم، القاهرة 1993.
- 23- عادل صادق: الغيرة والخيانة، ط1، دار الشروق، مصر 1993.
- 24- عائشة تيمور: تحديات الثابت والمتغير في القرن 19، ط1، مؤسسة المرأة الذاكرة، القاهرة
- 25- عائشة تيمور: امرأة التأمل في الأمور، ط1، ملتقى المرأة والذاكرة، القاهرة 2002.
- 26- عبد الحسن شعبان: التطرف والإرهاب، د ط، مكتبة الإسكندرية، مصر 2017.
- 27- عبد الحميد شاكور: عصر الصورة السلبية والإيجابيات، د ط، عالم المعرفة، الكويت 1978.
- 28- عبد الله محمد الغدامي: المرأة واللغة، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب 2006.
- 29- عصام واصل: الرواية النسوية العربية مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن 2018.
- 30- عفاف محفوظ: النساء والتحليل النفسي، تر: عابدة سيف الدين، ط1، مؤسسة المرأة والذاكرة، د ب 2016.
- 31- مايك ديكسون: سرطان الثدي، تر: هنادي مزبودي، ط1، دار المؤلف، الرياض 2013.

قائمة المصادر والمراجع:

32- محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، د ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق 1999

33- مية الرحبي: النسوية مفاهيم وقضايا، ط1، الرحبة للنشر والتوزيع، سوريا 2014.

33- نوال السعداوي: الوجه العاري للمرأة العربية، د ط، مؤسسة هنداوي سي أي سي، القاهرة 2017.

35- هادي العلوي: فصول عن المرأة، ط1، دار الكنوز الأدبية، بيروت 1996.

36- ياسين بوعلي: أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي، د ط، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا 2018.

37- يحيى أبو زكريا: الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر، ط1، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت 1993.

38- يمني طريف الخولي: النسوية وفلسفة العلم، د ط، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، 2018.

39- يوسف وغليسي: خطاب التأنيث، دراسة في الشعر النسوية الجزائري، ط 1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.

3- المعاجم:

1- ابن منظور: لسان العرب، الجزء 6، ط1، المطبعة الميرية ببولاق، مصر، 1300 هـ.

2- ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، ط1، دار صادر، بيروت 1990.

3- ابن منظور: لسان العرب، المجلد 9، دار صادر، بيروت 1990.

قائمة المصادر والمراجع:

- 4-المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت2001.
- 5-فيصل الأخضر نبيل دادوة: الموسوعة الأدبية، ج1، د ط، دار المعرفة، الجزائر2008. -
- 6-أبي الحسن بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، المجلد 5، د ط، دار الجبل، بيروت، دس.
- 7-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، د ط، دار الحديث، القاهرة 2008.
- 8-محمد عبد العزيز القلماوي: عبد الوهاب سيد عوض الله: معجم الوسيط، الجزء1، ط3، شركة إعلانات الشرفية مطابع الأقيست، د ب، 1985
- 9-معجم الكنز، عربي-عربي، د ط، منشورات عشاش، الجزائر، 2005.
- 4-المجلات:**
- 1-أمال منصور: الخطاب الأدبي النسوي بين سلطة المتخيل وسؤال الهوية ، ربيعة جلطي، أحلام مستغانمي أنموذجا، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد الثالث: قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة 2006.
- 2-سعاد الطويل: الرواية النسائية العربية وخطاب الذات، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري العدد السادس، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 2010.
- 3-عاصم واصل: في خصوصية الكتابة النسوية، مجلة فكر العربية، محكمة العدد الثاني، المغرب 2016.
- 4-المذكرات والرسائل الجامعية:**

قائمة المصادر والمراجع:

1-فريدة شلوف: المرأة المقاتلة في الجزائر، دراسة سوسولوجية، مذكرة ماستر، قسنطينة 2008-2009.

5-المواقع الإلكترونية:

- أحلام معمري: إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، يومي 9-10 مارس 2011، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة
<http://reves-ouargla.dz>

- أقوال توفيق الحكيم عن المرأة، من موقع www.hekams.com>tag

- الخطاب النسائي في الأدب والنقد، 28-05-2019، 02:32، من موقع www.uop.edu.jo

- الصورة: tv souma، 25-1-2012، من موقع soumatv.blogspot.com

- بشير خلف: النصّ النسوي...تحدّ للمعوقات وتطلّع إلى الحرية، 1-4-2012 من موقع www.Ahewar.com

- بوشوشة بن جمعة: الروية النسائية الجزائرية أسئلة الكتابة، الاختلاف، التلقي، من موقع www.benhedouga.com

- دهاء علاونة: تعريف المرأة والرجل، الحوار المتمدن، 22-2-2007، من موقع WWW.M.ahauar.org>s

- قاسم أمين: المرأة الجديدة، ص166 www.kotobarabia.com

- لقاء صحفي، قناة France 24، تاريخ: 14-4-2017، ساعة: 14:15 من موقع rhttp://f24.my/youtubeAr

قائمة المصادر والمراجع:

- محمد الخشاب: الكتابة النسائية فقط!، 2015-5-27، 15:20،
blogs.aljazeera.net

- محمد عطية : الحب والزواج، ص31 www.alsafwabooks.com

- هديل طالب: أسباب حدوث سرطان الثدي، 9:24، 27-3-
www.mawdoo3.com2017

- هند محمود، شيماء طنطاوي: نظرة للدراسات النسوية، ط 1، ص13، من موقع
www.nazra.org

- هيثم العاقر: تعريف المرأة، الحوار المتمدن، 8 مارس 2015،
www.m.ahewar.org>s.asp

-

ماتق

1-تلخيص الرواية:

بدأت الرواية باللقاء الذي دار بين الصحفية وفاطمة الزهراء، وكان أول لقاء تقبل فاطمة الزهراء إجراءه، فهي لم تكتب من أجل الشهرة بل من أجل قضية، وأول ما قالته عن الكتاب بأنه يتحدث عن قصة حياتها، وقصة حياتها هي قصة مجتمع، وقصة مجتمع هي في النهاية جزء من التاريخ ولا تعرف الفصل بين كل هذا.

بدأت الكاتبة في الحديث والصحفية تستمع إليها، وبعد أن دعتهما للحديث عن حياتها، شرعت في الحديث وهي لم تكن سعيدة، فمنذ ولادتها لم يفرح بها أحد، ولم تكن حية بل على قيد الحياة فقط، إذ كانت حياتها عادية، وكأنّ حياتها بدأت من الثانوية في بداية التسعينات حين بدأ مصطلح الإرهاب متداولاً دون معرفة مخاطره هو أضراره بعدما حوّل كل شيء إلى مأساة.

كانت فاطمة الزهراء تعيش في قرية صغيرة تابعة لولاية بومرداس بين بلدية زموري ومدخل مدينة بومرداس، حيث أنّها تعيش حياة هادئة، هي وعائلتها قبل أن ينخرط أخويها في موجة التطرف، وأولهما فؤاد الذي يبلغ من العمر أربع وعشرون سنة، لا عمل له سوى مراقبة أختيه، والذي تغيرت تصرفاته بغياباته المتواصلة عن المنزل، وتردده الكثير على المسجد وهو لا يعرف شيئاً عن الدين ولم يوجّه رأسه يوماً للقبلة، ويسب الله في أتفه الأشياء، أمّا رشيد البالغ من العمر ثلاث وثلاثين سنة، وأب لطفين، وهو أيضاً انخرط في موجة التطرف والإرهاب، يفتي في كل شيء وهو قليل المعرفة بالدين ويدخل اسم الله في كل كلمة يقولها، ويتحدثون عن الله وكأنهم لا يعرفونه من قبل واكتشفوه فجأة.

لدى فاطمة الزهراء أخت اسمها جميلة تكبرها بسنة، هي التي تقوم بأعمال المنزل هي وخديجة، زوجة رشيد في حين تهتمّ فاطمة بقراءة الكتب والروايات، كانت جميلة ماثلة في البيت بعدما غادرت مقاعد الدراسة بإرادتها، وهي دائمة الضحك لأتفه الأسباب، إضافة إلى أختها الكبرى نصيرة، تكبرها بأربع سنوات وهي متزوجة، وتنعم بحياة هادئة وسعيدة، لها أيضاً أخ صغير في الابتدائي عمره عشر سنوات يحب الدراسة مثلها.

فاطمة الزهراء لا تتذكر أبداً أحداثاً جرت قبل السنة الثانية ثانوي، وفي تلك المرحلة أصبحت تحب الحياة، فهو العام الذي انفجرت فيه المشاعر والأحلام بداخلها، فهي تحب شاباً اسمه طارق يستعد لاجتياز امتحان البكالوريا، تراه يراقبها من بعيد، وذات يوم التقيا في المكتبة هي ذهبت لتقرأ ديوان الشعر، وهو ذهب ليراجع دروسه فهو مقبل على الامتحانات تخاف ولما رآها تقرأ الشعر طلب منها أن يقرأ معها، وهي سعيدة بذلك لأنّه لا يوجد أجمل من أن تشارك شيء تحبه مع شخص تحبّه، وكان يناديها زهرة الزهرات وزهرتي، وأمضيا

الملحق:

أوقات رائعة إلى أن وصلت العطلة وتفاهما أن تجتهد لتتجح لتصل إلى الجامعة ويلتقيان فيها.

وصل وقت العطلة وفاطمة ستقضي العطلة في البيت، وكانا فؤاد ورشيد يرمقانها بنظرة سخط وغضب، ويأمرونها أن تترك الدراسة وتلبس الحجاب ولا تجوب الطرقات أما هي فدائماً تقرأ الشعر وتفكر في طارق، إذا نجح أم لا، وتحاول كتابة أي شيء في كراريسها إلى أن انتهت العطلة وعادت إلى مقاعد الدراسة وفرحت بروية طارق مرة أخرى، وكانت تلك أجمل هدية ولم تتوقعها لأنها كانت تظنه نجح في البكالوريا وفي الواقع عاد ليدرس معها، وكانت أسعد سنة عاشتها وكل يوم تكون أسعد من ذي قبل وخاصة اليوم الذي تذكر فيها طارق عيد ميلادها.

مضت الأيام وهي بين المدرسة المكان الذي تكون فيه سعيدة، وبين البيت الذي أصبح كمقبرة لها وخاصة أن فؤاد أصبح كظل لها وأنه ألزمها لبس الحجاب ودائماً وراءها، وأبوها دائماً ما ينفذها ويقول لهما هذه ابنتي ويوبخهما، لكن هما لا يستحيان وكانت أمها تخاف عليها من حدوث جريمة في البيت بسببها، فتطلب منها لبس الحجاب خوفاً من أخويها، فقبلت جميلة بلبس الحجاب وخديجة زوجة رشيد، أما هي فرفضت ذلك وكل يوم مشكلة في البيت بسببها، ومرّت الأيام وحان موعد اجتياز امتحان البكالوريا، وكان لها صديقة حميمة اسمها سعاد وهي مرحة ومتحدثة جيّدة تجيد الدفاع عن نفسها وتدرسان في نفس الثانوية، لها حبيب بعيد عنها لأنه يعمل شرطي، وفي آخر يوم من الامتحانات قال لها طارق عندما تتجح تضع أي خيار موجود في جامعة الجزائر ليلتقيا هناك، لكن ما حدث هو أن طارق وسعاد نجحا في الامتحان أما هي رسبت ولم تتجح، وكانت تعرف ماذا سيحدث وأن فؤاد سيتدخل مجدداً ويطلب منها البقاء في البيت وتمزق كتبها وتنسى المدرسة لكن والدها دافع عنها وقال: أنها ستعيد السنة، ففي العطلة كانت دائمة التفكير في طارق، وإذا ما يمكنها العودة إلى الدراسة أم أن فؤاد سيكون لها في المرصاد، أما جميلة فقد أحبّت شابا اسمه عزيز وجاء لخطبتها ووافق أبوها على ذلك إنه شاب هادئ وخفيف الظل.

عند قدوم شهر سبتمبر ذهبت فاطمة إلى أبيها لتكلمه بشأن التّسجيلات المدرسية، لكنه شارد الذّهن بعدما ذهب إلى الدكان ووجده فارغا خاصّة من المواد الجاهزة الاستهلاك والباب لم يكن مكسور، ووجد أن رشيد هو من يملك المفتاح عاتبه لكن بدون جدوى، وفي المساء جاء فؤاد ومعه ضعف مبلغ المؤونة التي أخذها من الدكان، لكن والده رفضه وأصيب بالمرض بسببهما، وأخذ رشيد المال واشترى للدكان ما أخذه دون علم أبيهم. في الصباح ذهبت فاطمة المدرسة بعدما حدثت والدها وقبل وجدت فؤاد ينتظرها ليمنعها من الذهاب وقال لها: إن خرجت سوف أقتلك وهي بدورها واجهته وأخذ سكيناً وهجم عليها وهم ليقتلها لكن أمها وجميلة مسكتاه وفجأة دخل والده عليهم وضربه بعدما خلّص فاطمة من يديه

الملحق:

فهو يقسم أنه لو خرجت سوف يقتلها وهي تقسم أنها ستعود للدراسة مهما كلف الأمر، فاقترح عليها عمها عمر أن يسجلها في المعهد التكنولوجي للتربية وتدرس سنة فقط لتصبح معلمة في مدرسة ابتدائية وتكون في نظام داخلي، وبذلك توفر على نفسها الشجار مع أخويها، فوافق أبوها على الأمر وأقنعاها إلى أن وافقت وقررت التسجيل في المعهد.

ذهبت فاطمة للدراسة متخلية عن أحلامها وعن الجامعة واللقاء مع طارقغصبا عنها، كانت تدرس كل أسبوعا عدى يوم الجمعة تأتي إلى البيت لرؤية أهلها وإعداد حقيبتها من جديد، وفي بعض الأحيان تأتي سعاد لزيارتها لتخبرها أخبار جديدة وفي بعض الأحيان تأتي سعاد لزيارتها لتخبرها أخبار جديدة عن طارق وتوصل إليها بعض الرسائل وتحكي لها أيضا عن نفسها بأنها لم ترى حبيبها مراد منذ مدة لأنه نقلوه من بومرداس إلى المدينة للعمل هناك ولا تقابله كثيرا، وقد جاءت بأخبار جديدة عن طارق بأنه يدرس الإعلام الآلي في جامعة الجزائر، إذ أصبحت سعاد مرسال الحب بينهما بإيصال الرسائل وكذا عن مكان اللقاء، فكانا يلتقيان في الجامعة ويجلسان كحبيبين وعاشقين يتبادلان الكلام المعسول والضمات والقبلات، إلى انتهى الوقت لتعود إلى المركز ويفترقا.

مرت الأيام وانتهت الدراسة في المعهد وتوظفت في الابتدائية ببلدية زموري، تدرس السنة الثالثة ابتدائي وهي مسرورة، خاصة بعد تسلمها لأول راتب لها لأنه يعطي الاستقلالية المالية وعزة النفس، وبمرور الأيام جاء تحديد عرس جميلة وعزيز وكان ذلك يوم الجمعة أين جاءت سعاد برسالة إلى فاطمة ووجدت البيت يعج بالضيوف، فأرسلت أختها الصغرى لتحمل الرسالة ووقعت في يد فؤاد وقرأها وكان كثور هائج أمسك الرسالة بيد وشد شعرها بيده الأخرى، وقام بضربها إلى أن فقدت الوعي وتوقف عن ضربها حين سمع من في البيت يصرخون بأنها ماتت، وبعد أن استعادت وعيها وجدت نفسها مزرقة الوجه وآثار الخنق تغطي عنقها، والصمت يعم البيت ولم تذهب إلى المدرسة لعدة أيام وأخذها والدها إلى الطبيب وأعطاه عطة مرضية الأسبوع وأخبرها أن تبلغ عنه وإلا ستعود للاستعجالات يوما ما.

انتهى الأسبوع وعادت فاطمة للعمل ولم يمنعها أخوها جرّاء ما حدث آخر مرة. أما طارق فأرسل إليها رسالة شفوية يقول أنه سيأتي لخطبتها لكنها رفضت ذلك لكونه طالب جامعي ولا يملك المال بعد، أما والد طارق عندما طلب منه ابنه أن يخطب له فاطمة قال له: أنت صغير وليس لديك عمل وأنعائلتها خطيرة كونها لديها أخوين ينشطان مع الإرهاب، لكن طارق لجأ إلى شيخ يعرفه عند شيء البحر حيث يسكن وحكى له القصة وعرض عليه الشيخ مرافقته وقبل طارق وذهبا لخطبتها على أنه عمه، ورافقه حقا وعند وصولهما رحب بهما والد فاطمة، لكن فؤاد كان في البيت ولما سمع باسم طارق بدأ يلقيه وينعله بأبشع الأوصاف وأنه لو كان رجلا لجاء لخطبتها، فتدخل والدها لكن لم يستطع منع فؤاد لأنه شرس وواصل

الملحق:

الصراخ على طارق، فمسك طارق نفسه إلى أن ثار عليه هو الآخر وشنّ شجار عنيف بينهما ولقن فؤاد درسا لا ينساه وهذا ما أدّى إلى رفض طارق من قبل عائلة فاطمة وهذا ما جعلها حزينة جدا، وجل تركيزها على تلاميذها الذين تحبهم كاهم وخاصة تلميذ اسمه أمين تلميذ وذكي هادئ، الذي في يوم أسود قتل الإرهاب أباه وما كان لفاطمة إلا أن تعانقه وتواسيه بقولها: ستكون بخير فأنت قويّ وذكي، فهذا التلميذ يذكرها بوجهها لفقدانها لحبيبها وتطلب منه أن يكون سعيدا رغم حزنه ويواصل حياته.

توالت الأيام وجاء موعد زواج جميلة بثلاثة أيام، لكنّ الإرهاب اغتالوا خطيبها عزيز وحولت حياتها إلى جحيم، بعد مرور العزاء جاء فؤاد ورشيد إلى فاطمة وقال لها: أننا وجدنا رجلا و عليك القبول به وكان شابا من البليدة مقبول المظهر وموظف حكومي، فتمت الخطبة دون أن توافق فتمت الخطبة دون أن توافق وكان من شروطه لبس الحجاب وألزمها بلبسه دون رضاها، وإلا سوف يقتلها فؤاد وكان ما أرادوه، فهي دائما حزينا تفكر في طارق، أما طارق فأرسل سعاد إليها لتخبرها أنّ له جدّة في تلمسان تنتظرها ليعيشا عنجدها وأن يخبرها أن تحمل وثائقها وتهرب معه ليتزوجها هناك لكنها رفضت وخافت والديها وملا سيقول الناس عليهما، فأخبر طارقخاله الأكبر ووافق على المجيء ليخطبها وذهب إلى أبيها ليفسخ الخطبة لكنّه رفض ذلك.

جاء موعد الزواج وزفوها بجلباب أسود بعدما دار شجار حول الفستان الأبيض، فسحبوها إلى السيارة وفي الطريق رأت طارق بعدما عرف أن ذلك اليوم يوم زفافها وكان آخر يوم تراه فيه، وصلت إلى مدينة البليدة وظنّت أن بيت زوجها سيكون أفضل من بيت أهلها، إلا أن قدرها كان عكس ما توقّعت، فهو أشبه بسجن لأنّ كل أفراد العائلة مقرّفين وأشرار ما عدا رياض الذي كان بشوشا وهادئا، وبوصول شهر سبتمبر طلبت فاطمة من زوجها ناصر للذهاب إلى مديرية التربية للتحويل لكنّه رفض وقال لها: أنّه لا يوجد عمل بعد اليوم وهي بدورها عارضت ذلك وأرادت العمل وما كان له إلا أن يضربها كل يوم على هذا الحال دائما يضربها لأتفه الأسباب، فاستجدت برياض وطلبت منه أن يتصل بعمها ليعلم أباهما بأن يأتي، وحقا أتى ووبّخ ناصر أشد توبيخ وقال له: إما أن تتركها تعمل وإما أن أعيدها إلى البيت ووافق ناصر أن تعمل لكن ليست هي من تقبض راتبها لأنه ممنوع عليها التكلم مع موظف البريد وبهذا وكلته بسحب مالها بالضغظ عليها وضربها، توالت الأيام فحملت أول جنين لها وتم إجهاضه من قبل والده الذي كان يضربها كل مساء بدون سبب، كما أن أمه وزوجة أخيه وأخته اللواتي أصبحن هنّ من يصدرن الأوامر في كل شيء وهي مجرد عبدة بينهنّ فإذا قالت شيء أو كلمة إنهال ناصر بضربها.

بعد سنة من الزواج أنجبت فاطمة ابنتها الأولى أمال وهي التي من سمتها بحثا عن الأمل، وبعدها بسنة أنجبت محمد ثم نور الهدى ثم إسلام وفي مرها خمسة وعشرون سنة،

الملحق:

وفي يوم مشؤوم وصل خبر وفاة حبيب سعاد الذي يعمل في سلك الشرطة فبقيت في الفراش ثلاثة أشهر وكأنها ميّنة، وبعد هذا كلّه تركت دراسة الطب وذهبت لتعمل في سلك الشرطة مثل مراد من أجل أن تتأثر له.

كانت فاطمة دائما ما تطلب الطلاق وناصر يرفض ذلك لأنّه بحاجة إلى مالها، وبعد مرور سنوات من العذاب كبر الأولاد، وعاد الأخ الأكبر لناصر عبد الله من فرنسا، والذي يناقض فاتح في تصرفاته، وهذا ما أدى إلى مغادرة فاتح البيت مع زوجته السّكن في بيت آخر لأنّه لا يرضى بأن تبقى زوجته مع غير محرم في البيت.

مرضت فاطمة بسرطان الثدي ودخلت المستشفى، إذ تتفاجأ بأمين تلميذ درّسته في صغره وهو طبيب يداويها ويساعدها ويواسيها على محنتها، وبيوم خروجها من المشفى جاء ناصر ومعه ورقة بأن توقعلي أن يتزوج مرة ثانية لكنها رفضت التوقيع، وبعد شحار طويل حول توقيع الورقة وإعطائها المال من أجل الذهاب إلى الطبيب، طلقها بعد ثمانية عشر عاما من الذلّ والعبودية فهو زواج شرعي غير إنساني خرجت منه بأنف مكسور وثدي مستأصل وخالية اليدين، فطردها ناصر من البيت فحملت معها إسلام ونور الهدى واتجهت نحو العاصمة لتترك أمال في البلدة لأنها ستجتاز امتحان البكالوريا بعد شهرين أمّا محمد فتركته في البلدة، فلجأت إلى العاصمة ولقت يد العون من كريمة وهي امرأة جريئة ومثقفة، ساعدتها لتعيد بناء نفسها من جديد وتصبح امرأة قويّة متحرّرة من المخاوف التي عاشتها، فقرّرت فاطمة إصدار كتاب تكتب فيها قصّة حياتها وقصّة معاناتها لتتخلّص من آلامها ومعاناتها.

2- لقاء صحفي قناة france24: من موقع [http:// f24.my/youtubeAR](http://f24.my/youtubeAR) بتاريخ 2017-04-14، 14:15.

حوار مع الأدبية "فيروز رشام" في برنامج هي الحدث في قناة france 24:

الصحفية: من أين انبثقت الرواية؟ وما هي الرسالة أو الرسائل التي توّدين إيصالها؟

فيروز: هذه الرواية "تشرفت برحيلك" لأنّه لدي رسالة ولديّ قضية، وهذه الرواية قدّمت فيها خلاصة تأملاتي للمجتمع الجزائري وهو يتغير منذ بداية التسعينات إلى الآن منذ بداية العشرية السوداء، وأردت أن أبين من خلالها حجم الخراب النفسي والاجتماعي والثقافي الذي أصابنا بعدما توغل التطرف الديني بيننا، فهي بطريقة ما تحليل سوسيوثقافي للمخلفات الاجتماعية للمخلفات الرهيبة للتطرف الديني على سلوكيات الأفراد ونفسيّتهم.

الصحفية: الشخصية البطلة سيّدة عانت من كل أنواع الظلم الذكوري والاجتماعي والقانوني والديني، هل تعكس روايتك واقعا ما للمرأة الجزائرية؟

الملحق:

فيروز: الرواية واقعية إلى حد بعيد وللأسف الظواهر التي نتحدث عنها موجودة في الواقع وتزداد تازما يوما بعد يوم مثل ظاهرة العنف الأسري والعنف بشكل عام لأنه موجود حتى في المدرسة الشارع وفي كل مكان أيضا تقلص وتراجع الحريات الفردية وكذا الاستغلال المادي للنساء العاملات أيضا هذه مشكلة طرحت في الرواية.

الصحفية: أنت برأيك واقع المرأة الجزائرية تراجعولم يتحسن، بل تراجع؟

فيروز: بلا تحسن كثيرا لكن هذا لا يعني بأنها في وضع مريح، هناك دائما مشاكل جديدة تطفوا إلى السطح على حسب تغيرات المجتمع.

الصحفية: لنتحدث قليلا في عنوان الرواية اخترت تشرفت برحيلك لماذا؟

فيروز: عنوان الرواية عند أول وهلة قاسيا بعض الشيء، ولكن بعد قراءتنا يتبين للقارئ بأن اللغة في حقيقة الأمر عاجزة عن التعبير عن الجراح النفسية العميقة فماذا يمكن أن تقول امرأة لرجل منحته حياتها وشبابها، فعذبها بتلك الطريقة وفي نهاية الأمر رمى بها إلى الشارع بعدما استنزفها نفسيا وعاطفيا وجسديا وحتى ماليا، إذا كانت المرأة بكامل شبابها وذكائها ومالها نجد صعوبة في التأقلم في المجتمع، فماذا عن امرأة في عمر الأربعين مطلقة بأربعة أطفال لا مال لها ولا وجهة ويضاف إلى ذلك أنها مصابة بالسرطان، في الحقيقة الجراح الروحية العميقة يصعب ترجمتها إلى لغة.

الصحفية: استوقفتني مقطع كتبت "كم أشفق على حور العين! هل خلق الله حوريات خرافيات الجمال ليجبرهن على مضاجعة رجال من نوع فاتح وأمثاله! ألا يكفي ما تعانيه نساء الدنيا معهم، لو أنهم فقط يفقهون في الحب شيئا، فبعضهم كزوجي لا يجيدون حتى التقبيل! منينقذ حور العين من هذا المصير؟ كيف سيتحملن أقبح وأقذر الرجال؟ على الأقل حياة نساء الدنيا مؤقته أما حياتهن فأبدية!" تعليق قصير على هذا المقطع.

فيروز: هذا المقطع يأخذ سياقه من الرواية وهو أيضا مفارقة عندما تجددين بعض الرجال يتنافسون للحصول على حور العين، في حين يعجزون على إسعاد الموجودات في بيوتهم.

الصحفية: في عالم الرواية والنشر هل تعتبرين في عصرنا اليوم في المجتمعات العربية أو في الدول العربية هل تعتبرين أن الرجل له حضورا أوفر في النشر كروائي، أم أن الأزمة التي تصيب الأدب هي عامة ولا تستثني أحد.

فيروز: لا أعتقد ذلك فإزمة النشر والتوزيع هي نفسها على الجميع، لكن المشكلة هي أن المرأة متأخرة عن الرجل في مجال الكتابة، أعني أن الكتابات النسائية لا تزال خجولة جدا وقليلة ونجن نعرف بأن عالم الكتابة عالم ذكوري بامتياز. ولو تقتمه المرأة بأكثر جرأة وأكثر قوة لربما تعرف بنفسها وربما تقدم صورة أخرى إيجابية للرجل لأن أحيانا الرجل لا

الملحق:

يعرف كيف تفكر المرأة ولا يعرف الكثير عن نفسياتها، فالكتابة هي نوع من البوح والتواصل.

الصحفية: أنت تقولين أيضا ربما أنها نوع من العلاج لأن في صفحات الكتاب نقرأ أيضا على لسان البطلة "يكتف القول أنني تصالحت معنفسى ومع تاريخى وأنى تعافيت من جل أمراضى النفسى والعقلية والجسدية وما داوتتى العقاقير الكيماوية ولا الجلسات النفسى وإنما داوتتى الكتابة" اليوم هل يمكن أن نقول أن الكتابة هي جزء من الحل؟ هي الدواء لقضايا المرأة وربما لمشاكل التي تواجهها المرأة؟.

فيروز: الكتابة في حد ذاتها هي علاج وهي تيرابيمعنى ليس أن تكون أدبية أو غير أدبية، وشخصية فاطمة الزهراء في نهاية المطاف قامت بكتابة سيرتها الذاتية وشعرت بأنها تحسنت نفسيا، أنا أتحدث أيضا عن جيلنا هذا الجيل الذي خرج من العشرية السوداء معدوما فلم يستطع التعبير لا أثناء تلك العشرية ولا في السنوات التي بعدها، فقدنا التوازن ونحن الآن بحاجة للكتابة عن الموضوع لنعبّر عن رأينا فيما حدث وأيضا لنستعيد بعض توازننا النفسى لأنّ الكبت دائما يولد المزيد من التّعقيدات ويصعب الأمور الذي يحكى فيه ويكتب فيه لا يصبح عقد في الحقيقة.

الصحفية: دعيني أختتم مع جملة جميلة جدًا في آخر الرواية تقولين "ما أصعب أن تكون المرأة امرأة" هل تعتبر فيروز رشام اليوم أن من الصعب أن تكون المرأة امرأة ولماذا؟.

فيروز: فعلا أنا أعتقد أنه من الصعب أن تكون المرأة امرأة في أيّ مكان في الدنيا وليس فقط في هذه البقعة من العالم، وفي ذات الوقت ما أجمل أن تكون المرأة امرأة.

الصحفية: لماذا صعب فيروز، باختصار لماذا اليوم صعب أن تكون المرأة امرأة؟.

فيروز: صعب إذا كنا نربط هذا الموضوع بما ورد في الرواية صعب لأن الثقافة الذكورية لم تستوعب بعد أنه كلما ضاقت حرية المرأة وكلما كانت معتفة نفسيا وجسديا كلما أصبحت غير قادرة على العطاء، فانعكس ذلك سلبا على أطفالها وعلى المجتمع، المجتمعات الراقية يرتقي فيها الجنسين معا الرجال كما النساء وطالما أن المرأة يحاصرها الفكر الديني المتطرف ويجعلها موضوعا محوريا للقبض على المجتمع فبالأكيد هي ليست بخير.

الصحفية: الدكتورة فيروز رشام الروائية والباحثة الأكاديمية من الجزائر العاصمة أشكر على حضورك معنا اليوم في برنامج "هي الحدث"، وأتمنى لك كل التوفيق في مسيرتك الأدبية والمهنية.

3-تعريف الكاتبة:

الملحق:

فيروز رشام دكتورة وباحثة أكاديمية تعمل أستاذة محاضرة "صنف أ". قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي محند أولحاج بالبويرة، الجزائر.

المؤهلات والنشاطات العلمية:

- بكالوريا علوم الطبيعة والحياة 1995. ثانوية محمد الصديق بن يحيى. البويرة.
- ليسانس في اللغة والأدب العربي 1999. جامعة مولود معمري. تيزي وزو.
- ماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية 2006. جامعة مولود معمري. تيزي وزو .
- دكتوراه العلوم في تخصص "قضايا الأدب والدراسات النقدية والمقارنة" 2012. جامعة الجزائر2.
- شهادة التأهيل الجامعي للترقية إلى رتبة أستاذ محاضر "صنف أ" 2014. جامعة الجزائر2.
- رئيسة فرقة بحث بعنوان "دراسات في الأدب النسوي المغربي" تابعة لمخبر "قضايا الأدب المغربي"، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البويرة.
- رئيسة مشروع بحث بعنوان "تداخل الأجناس الأدبية في الأدب الجزائري المعاصر"، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البويرة.
- عضو مؤسس وناشط في الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية ورئيسة فرع ولاية البويرة.
- أبرز أعمالها: كتاب شعرية الأجناس الأدبية في الأدب العربي. رواية تشرفت برحيلك.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

-إهداء.

-كلمة شكر

- مقدمة 1-4.

-مدخل 7-37.

الفصل الأول: قضايا المرأة في رواية "تشرفت برحيلك"

المبحث الأول: دراسة العنوان "تشرفت برحيلك"

1-دلالة العنوان لغة 40-41.

1-1-كلمة شرف..... 40.

1-2-كلمة رحيل 41.

2-دلالة العنوان اصطلاحا 41-44.

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية وقضايا المرأة

1-المرأة والعنف..... 44-47.

2-المرأة والحب 47-51.

3-المرأة والحجاب..... 51-53.

4-المرأة والزواج 53-56.

- 5- المرأة والجنس 57-60 .
- 6- المرأة والإنجاب 60-61 .
- 7- المرأة وسرطان الثدي 61-64 .
- 8- المرأة والخيانة الزوجية 64-67 .
- 9- المرأة والطلاق 67-69 .
- 10- التطرف الديني في المجتمع الجزائري 69-74 .

الفصل الثاني: صورة المرأة في رواية "تشرفت برحيلك"

المبحث الأول: أنواع صور المرأة في الرواية

- 1- صورة المرأة المقاومة المكافحة 77-83 .
- 2- صورة المرأة المثقفة 83-88 .
- 3- صورة المرأة الجريئة 88-91 .
- 4- صورة المرأة المستلبة 91-95 .
- 5- صورة المرأة المقهورة 95-101 .
- 6- صورة المرأة الأم 101-103 .

المبحث الثاني: المخلّفات الإجتماعية والنفسية التي تعاني منها المرأة نتيجة الإرهاب

- 1- المخلّفات الإجتماعية 103-106 .
- 2- المخلّفات النفسية 106-111 .
- خاتمة 113-114 .

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر والمراجع	116-122.
ملحق	124-129.
الفهرس	131.,

ملخص:

يقوم البحث حول استكشاف صورة المرأة في رواية عربية جزائرية "تشرفت برحيلك" فجاء موضوع بحثنا الموسوم بـ "صورة المرأة في رواية تشرفت برحيلك" لفيروز رشام" ضمن الموضوعات التي تتناول قضايا المرأة في مجتمع يسود فيه الإرهاب والتطرف في فترة العشرية السوداء، فصورت لنا حالة المرأة المزرية وما خلفته تلك الحقبة على حياتها الإجتماعية، وكيف سعت من أجل التغلب على تلك الظروف، وإبراز صوتها وذاتها بعدة صور، لتكون خير خلف لخير سلف.

THE STRUCT :

The present research deals way exploring the image of women in an algerian arabicnovel "I was honored to leave you "which was written by FAYrouz racham..The later gives us an interest to know and explore the image of a woman and her sufferances in a society where terrorism and extremism in the perid of the black decade. She presented to us the deplorable state of women and haw she sought to overcome these circumstances, and highlight the voice and herself in several pictures, to best successor to the good of the predecessor.

Le resumé:

La recherche scientifique se situe sur la découverte de l'image de la femme dans le roman arabe algérien" ce fut un plaisir ton départ .Le thème de notre recherche s'insilte "la découverte de l'image de la femme dans le roman ce fut un plaisir ton départ.De fairouz racham parmi les intitulés qui abordent les sujets de la femme dans la société prédomineé pas les terroristes et radicalisme peandant la décennie noire. Elle a imaginée l'état misérable de la femme et tous ce que cette époque a laissé dans sa vie sociale,comment elle a essayer de surmonter les conditions er de mettre en relief son image et son soi avec plusieurs images pour qu'elle soit meilleure exemple pour la prochaine femme.